جَبرُ الخَواطِر



الطبعة الأولى

١٤٤٢هـ ـ ٢٠٢١م

تُطلب جميع كتبنا من:

دار القلم ـ دمشق

هاتف: ٢٢٢٩١٧٧ فاكس: ٢٢٥٥٧٣٨ ص.ب: ٤٥٢٣

kalam-sy@hotmail.com

الدار الشامية ـ بيروت

هاتف: ٨٥٧٢٢٢ (٠١) فاكس: ٨٥٧٤٤٤ (٠١)

ص.ب: ١١٣/٦٥٠١

توزّع جميع كتبنا في السعودية عن طريق:

دار البشير ـ جدّة

٢١٤٦١ ص.ب: ٢٨٩٥ هاتف: ٦٦٥٧٦٢١ فاكس: ٦٦٠٨٩٠٤



من سار بين الناس جابراً للخواطر
أدركه الله في جوف المخاطر

الدكتور حسان شمسي باشا

استشاري أمراض القلب

في مستشفى الملك فهد للقوات المسلحة بجدة

زميل الكليات الملكية للأطباء في لندن وغلاسجو وإيرلندا

زميل الكلية الأمريكية لأطباء القلب





«صَنائِعُ المَعْرُوفُ تَقِي مَصارعَ السُّوءِ
والآفَاتِ والهلكَاتِ..

وأهلُ المعروفِ في الدنيا
هُمْ أهلُ المعروفِ في الآخرةِ»

صحيح الجامع: ٣٧٩٥

«من سَارَ بينَ النَّاسِ جابرًا للخَواطرِ..
أدركَهُ اللّٰهُ في جَوفِ المَخاطرِ»

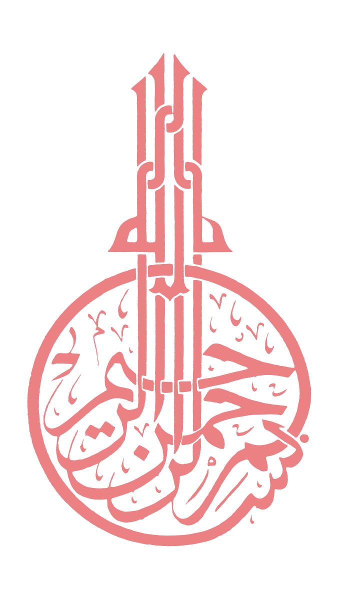


إلى المنكسرةِ قلوبُهم في كل مكان..

إلى كلِّ مَنْ جَبَر خاطراً..

وأدخل السعادة على قلب إنسان..

إليهم جميعاً.. أهدي هذا الكتاب..


بسم الله الرحمن الرحيم



المقدّمة

أجملُ من الجمال.. جبْرُ الخواطر!..

وكلُّ إنسان منا.. حُفرتْ في ذاكرته صورةٌ لأشخاصٍ..

كان لهم في حياته أثرٌ جميلٌ..

بمواقف سُطّرتْ..

بكلمة جبرت نفوساً..

أو تصرّفٍ أثلج صدوراً..

سمع أحدهُم أمَّه تطلب من جارتها «شوية ملح»!..

فقال: لماذا تطلبين منهم ملحاً.. وقد أحضرتُ بالأمس لك كيساً من الملح؟!..

فقالت: ياولدي!.. لأنهم كثيراً ما يطلبون أشياءَ من عندنا.. وهم فقراء..

فأحببتُ أنْ أطلبَ منهم حاجةً بسيطة لا تُكلّفهم شيئاً..

وأنا بالأصل لستُ بحاجةٍ للملح!..

لكني أحببتُ أنْ أُشعرهم أنني بحاجة لهم مثلما هم يحتاجونني!!..

فيسهلُ عليهم طلبُ أي شيئ يحتاجونه من عندنا.. ولا يخجلوا من طلبه!..

وأراد حسانُ بن ســعيد المخزومي (توفي سنة ٤٦٣هـ) أن يبني جامعاً..

فأَتَتْهُ امْرَأَةٌ بِثَوْبٍ.. ليُنفِقَ ثَمَنه فِي بنَاء ذلك الجَامِع..

وكان الثوبُ لا يساوي أكثر من نصف دينار!..

فطيَّب خاطرها.. واشتراه منها بألف دينار..

وَسَلَّمتِ المَالَ إِلَى الخَازن لإِنفَاقه..

وخبّأ الثوبَ كفناً له(١).

جبر الخواطر.. من أعظم العبادات الخفيّة التي يتقرب بها العبد لربه الكريم..

جبر النفوس دعاءُ رســول الله ﷺ فكانَ يقولُ بينَ السَّــجدَتَين: «اللَّهمَّ اغفِر لي وارحَمني **واجبُرني** واهدِني وارزُقني»(٢)..

والقرآن الكريم.. وإن لم يأتِ بنصّ كلمة «جبر الخاطر».. إلا أنّه مليءٌ بمحتواها ومعناها.. كما في قوله تعالى ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضّحى: ٩ ـ ١٠]...

---

(١) سير أعلام النبلاء.

(٢) صحيح الترمذي: ٢٨٤.

ألم يُعاتب الله تعالى حبيبه المصطفى ﷺ جابراً خاطر ذلك الضّعيف الأعمى.. عندما انشغل عنه الحبيب ﷺ بدعوة كبار قريش.. رغم أنّه لا يرى تقطيب جبين النبي ﷺ ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ﴾ [عبس: ١ ـ ٤].

ألم **يجبر قلبَ يوسفَ** عَلَيْهِ السَّلَامُ عندما ألقاهُ إخوتُه في البئرِ.. فيوحي إليه بشارةً له.. وتثبيتاً لقلبِه.. لأنه ظُلم وأوذي من أخوته.. ﴿فَلَمَّا ذَهَبُواْ بِهِۦ وَأَجۡمَعُوٓاْ أَن يَجۡعَلُوهُ فِي غَيَٰبَتِ ٱلۡجُبِّۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمۡرِهِمۡ هَٰذَا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ﴾ [يوسف: ١٥].

فجبر الخواطر خلق إسلامي عظيم.. يدل على سمو نفس.. وعظمة قلب..

على سلامة صدر.. ورجاحة عقل..

تُجبَرُ فيه قلوبٌ فُطرتْ.. ونفوسٌ كُسرت..

أرواحٌ أرهقتْ.. وأفئدة تمزقتْ..

و«الجبر» يكون مداواة «للكسر».. وهو أكثر ما يؤلم عندما يُكسر..

ومنه تأتي «الجبيرة».. التي تداوي كسر العظام.

ومعنى كلمة «جَبَر»: أي أصلحَ وقوّم وصحّحَ..

وجَبَر العظم: أصلحهُ منْ كسرٍ فيه..

وجَبَر القلبَ: واساهُ في همومه..

والخاطر: يُطلَق على القلب والنفس مجازاً.. وحقيقته هو ما يدور ويشغل بال الإنسان..

جاء في «مختار الصحاح»: و«(الجبر): أن تُغنِي الرجل من فقرٍ.. أو تُصلح عظمه منْ كسرٍ»[1].

ومما يزيد هذه الكلمة جمالًا.. أن «**الجبْر**» **مشـــتقٌ من أسماء الله الحسنى**.. فهو «**الجبّار**» وحده جلَّ في علاه..

اسمٌ بمعناه الرائع.. يُطمْئن القلوب.. ويريح النفوس..

فهو سبحانه الذي يجبر الفقر.. بالغنى..

والمرض.. بالصحة..

والخيبة والفشل.. بالتوفيق والأمل..

والخوف والحزن.. بالأمن والاطمئنان..

فهو جبارُ حوائج الخلائق أجمعين..

وقد يمر بك موقفٌ.. أو تسمع حكاية لصديق.. تجعلك لا شعورياً تسترجع المواقف التي اختزَنَتْها ذاكرتُك.. فتقارن وتستنتج!..

تذكرُ كتبُ الســـيرة أنَّ امرأةً من الأنصار دخلتْ على عائشة رضي الله عنها في حادثة الإفك وبكتْ معها **دون أن تنطق بكلمة**.. قالت عائشـــة: «**لا أنساها لها**».

(١) الرازي، أبو عبد الله محمد: مختار الصحاح، (ج ب ر).

فأصحاب القلوب النبيلة يستشـــعرون ما يعانيه أمثال هؤلاء في تلك الأحوال..

فتكون الكلمةُ.. بل الدمعةُ منهم.. مواساةً وضماداً للجراح..

كانت المرأة صامتةً.. لم تتفوّه بكلمة.. **ولكنه الموقف..**[١]

ومثلها **عندما تاب اللهُ تعالى على كعبٍ..** بعدما تخلَّف عن غزوة تبوك..

دخل المسجدَ مستبشرًا..

كلّ الصّحابــة تفاعلــوا معــه.. لكنّــه لا ينســى موقفــاً فريداً لطلحة رضي الله عنه .. إذ قام إليه يُهرول ثمّ احتضنه!

قال كعب: **لا أنساها لِطلحة!**

كم من المواقف تمرّ بك! وكم ثناءً وإطراءً تسمعه..

تشكر مَنْ فَعَله.. ثم لا تنساه أبداً..

فجبر الخواطر طاعة يتقرب بها الإنسان إلى الله تعالى..

وهي من أجَلّ القُرَب.. شريطة أن يكون الهدف رضا الله سبحانه وتعالى .

كنْ النافذةَ التي يتســلل منها النســيم العليل على النفوس التي خنقتْها عوادمُ الحياة.. تخلّقْ بخلُق الجبْر.. وكنْ دوماً اليدَ العليا..

---

(١) أ. د. عثمان بن صالح العامر: جبر الخواطر عند الانكسار. (بتصرف)



يزور الحبيب ﷺ اليهوديَ المريض..

ويكنّسُ أبو بكر رضي الله عنه بيتَ العمياء.. ويطبخ لها طعامها..

ويحمل عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه كيسَ الدقيق على ظهره.. فيطبخ للأطفال الجياع.. ولا يتركهم حتى يناموا..

يموت عبدُ الله بن المبارك رضي الله عنه .. فيفتقدُ المساكينُ تلك الأرزاق التي كانت توضع عند أبوابهم في الليل.. فيعلمون بعد موته أنّها كانت منه!

يموت أشدُّ أعداء ابن تيمية رحمه الله .. فيبشّره أصحابُه بذلك.. فيغضب.. ويذهب إلى أهل الميّت فيعزّيهم.. ويقول لهم: «أنا كوالدكم.. لا تحتاجون شيئاً إلا وأخبرتموني»..

هكذا كانت حياتهم..

رضى الله أولاً.. ثم كلّ عملِ خير..

ولا يمكن لأحد أن يجبر بخاطر العباد كما يفعل رب العباد..

فهو الذي خلقَهم.. وهو الأعلم بشؤونهم.. وما يجبر خاطرهم..

يُغيثهم.. ويعينهم على كل بلاء..

مَنْ منا مَنْ يكفكفُ في كل يومٍ دمعًا.. ويُلمْلمُ شعثًا..

يواسي هذا.. ويضمّدُ جراح ذاك؟!

إذا رأيتَ أحدهم منطفئًا.. فحدِّثْهُ كثيرًا عن مزاياه..

حدِّثْهُ عن جمال قلبه وروحه..

ابتسمْ له ابتسامة حب.. وانثر عليه كلماتك الطيّبة..

كرّر ذلك حتى ترى منه إضاءةً وإشراقاً..

فإنَّ جبر الخواطر «عبادة»..

إذا رأيتَ منكسراً فاجبر كسره..

كن أنت الذي يستخدمك اللّهُ لجبر كسور المنكسرين..

تقول إحداهن: بكى زوجي.. ودمعتْ عيناه لأول مرة أمامي..

تمنيتُ عندها أني متُّ.. ولم أر دموعه.. ولا كسْرتَه!!..

لا تنم.. وجارك جائعٌ وأنت تعلم به..

لا تضحك.. وإلى جانبك أخٌ يبكي مما أصابه..

لا تنعم بدفءٍ.. إلا وأنت تذكر مَنْ هدَّ البردُ أبدانَهم الضعيفة..

فجبرتَ خاطرهم بما جادت به نفسُك..

جبر الخواطر عبادة مهجورة عند بعض الناس!..

اجبر خاطر شـــريكة حياتك.. فكم من زوجٍ لا يفكر بجبر خاطر زوجته..

تقدّمُ له أطيب الطعام والشراب.. فيعتبره واجباً مفروضاً عليها!..

وينسى أن الكلمة الطيبة تذيب جبالاً من جليد!..

اجبر خاطر والديك.. فلا تعلم حتى متى هم بجوارك؟

واجبر خاطر أخواتك وإخوتك.. فقد يكونوا بأمسِّ الحاجة إليك..

واجبر خاطر بناتك وأبنائك.. بكلمة حانية.. أو هدية بسيطة..

بل ربما بنظرة رقيقة راضية..

واجبر خاطر أصدقائك.. فالكلمة الطيبة صدقة وبركة..

اجبر خاطر محتاج فقير.. حتى لو كنت عاجزاً عن مساعدته مادياً..

فبكلمة أو ابتسامة لطيفة.. وإياك أن تُشعره بعجزه وحاجته..

واجبر خاطر من هم حولك دوماً بأي طريقة تسعدهم..

فجبر الخواطر سيرقق قلبك.. وينعش فؤادك.. والله مع القلوب المشفقة الحانية..[1]

اجبروا خواطر من حولكم.. راعوا مشاعرهم وتلطفوا معهم.. وانتقوا كلماتكم بعناية فالكلمات لا تندمل جراحها على قول الشاعر:

جراحاتُ السنانِ لها التئامُ ولا يلتئم ما جرَحَ اللسانُ

(١) د. نيرمين ماجد البورنو: العبادة المهجورة. (بتصرف)

ووضْعُ الكلمة الطيبة فــي «صناديق» القلــوب.. قد لا يقل عن وضعها في صناديق الصدقات..

وقد تحتاج إلى من يجبر خاطرك..

ففي الحياة أحداث عجيبة وتقلبات غريبة..

منها ما يَسُر ويُفرحْ.. ومنها ما يُحزن ويُترحْ..

ألم تتكالب عليك في يوم من الأيام أزمات؟

ألم تتواطأ عليك في لحظةٍ من اللحظات كروبٌ وآهات؟

ألم تهشّمْ قلبَك يوماً ظروفٌ حالكات؟

ألم تشعر روحُك المكنســرة.. وقلبك المهشّم.. بحاجة إلى من يجبر ضعفك وانكسارك؟

وبعض الأشخاص يظنون أن مهمتهم تدميرك.. أو السخرية بك..

إظهارك بحجم صغير جدّاً أمام رفاقك..

ولولا الجبّار لطحنتْكَ مكائدهم..

يدخلون إلى عينيك.. فيسرقون منها أجمل أحلامك..

وكلّما انطفأ حلمٌ.. خلق اللهُ لك حُلماً أجمل..

وكلّما بهتت في قلبك ذكرى.. صنع الله لك أروع الذكريات..

زوّدنــا الجبــار بمجبّرات ومضمّــدات.. نعلــم بعضها ونجهل أكثرها..

خلقها وأودعها في كونه لأجلك.. حتى تبتسم وتعيش حياة كريمة.. وتتفرّغ لعبادته[١].

وأنت بحاجة إلى من يأخذ بيدك.. ويجبر بخاطرك..

يمسح عن قلبك آثار الحزن.. ويرفع عن صدرك جاثمات الكروب..

وما أروع وأنت في غمرة حزنك.. أنْ تمتد إليك يدٌ تسعفك..

أو تسمعُ كلمةً تشد من أزرك.. وتهوّن من مصيبتك..

تُنْجدك فتقف على رجليك مرة أخرى..

وتنهض قائماً لتتابع سيرك في الحياة..

فكثير من لحظات الحياة تمر وتنقضي..

وتُمْسَح من الذاكرة وتنمحي...

ولا يبقى في الذاكرة إلا أسماء أولئك الذين وقفوا معك وأنجدوك.. جبروا خاطرك وأسعفوك[٢].

فسلاماً للذين يقُولُون لنا كلاماً طيباً.. حين نسقط..

للذين إذا رأوْا فينا جرحاً.. ضمّدوه..

---

(١) أ. علي جابر الفيفي: لأنك الله: رحلة إلى السماء السابعة، دار الحضارة للنشر والتوزيع. (بتصرف)

(٢) د. ياسر مصطفى يوسف: جبر الخواطر خلق إسلامي نبيل. (بتصرف)

أو حزناً وألماً.. سكّنوه..

للذين لا يمرون على جراحنا إلا بلسماً وعطراً..

للذين يُرمِمُون ما تهدم في قلوبنا من أملٍ..

فنُزهرُ.. ونُثمر.. عطاءً طيباً للآخرين...

وجبر الخاطر عبادة خفيّة.. قد يفوق أجرُها في وقتها المناسب أجر النوافل من بعض العبادات والطاعات..

ولعلك مررتَ بموقف **تلمّستَ فيه فضلَ الله عليك..**

جبرتَ في يومٍ خاطرَ قريب أو جار.. أو صديق أو محتاج...

فجبَرَ اللّهُ خاطرك في موقف من المواقف العصيبة..

يقولون: كما تدين تدان.. وليس هذا في الانتقام فقط..

بل كما تدين تدان حين تجبر خاطرًا.. وتزيل همًّا..

حين تُسعد نفسًا.. وتكشف غماً..

ثُم يأتيك الله بأشد ما يتمناه قلبك..

عِوضًا عن أيام ثقال.. وجبرًا عن قسوة العالم!..

ولن يدعك الله تجبر كسور الضعفاء ثم لا يشكرك.. فهو الشكور الحميد..

فسيأتي اليوم الذي يُردُّ لك معروفك هذا أضعافًا مضاعفة..

لذة لا يعرفها إلا من جربها

في قضاء حوائج الناس لذة لا يعرفها إلا من جربها..

كما أنَّ فيها مــن تفريج الكُرَب وتيســير الأمور مــع الأجور.. ما لا يعلمه إلا الله..

تذكر نعم الله عليك.. وأدّ صدقاتهــا.. وادعُ كل يوم بهذا الدعاء: «رَبِّ أَوْزِعْنِي أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَصْلِحْ لِي فِي ذُرِّيَّتِي».

لا تهتم فقط بنفسك وتنسى من حولك..

اعرف حاجاتهم..

اقرأ في أعينهم ما يُدخل السعادة على قلوبهم..

واعمل على إسعادهم.. فإن سعادتهم سترتد عليك نوراً وإشراقاً..

والخاسر مَنْ دفن في قلبه زلات الآخرين وهفواتهم..

اصفح عنهم.. وطيّب خاطرهم.. ونقّ قلبك من تلك الشــوائب والأدران..

وردْ دعاء الحبيب ﷺ «اللَّهُمَّ اغْسِلْ قَلْبِي بماءِ الثَّلْجِ والبَرَدِ، ونَقِّ قَلْبِي مِنَ الخَطايا كما نَقَّيْتَ الثَّوْبَ الأبْيَضَ مِنَ الدَّنَسِ»[١].

وقد تنتصر في يوم من الأيام.. ولكن ذلك الإنتصار خسارةٌ لك..

---

(١) رواه البخاري.

فإن انتصرتَ على مكسور الخاطر.. فلا تعتبره انتصاراً..

عدْ إليه.. وانصرْ مَنْ انتصرت عليه..

اجبر خاطره.. فذلك الفوز.. ذلك الفوز..

احترم ميــول الآخرين ولا تثبطهــم.. حتــى وإن كانت ميولهم واهتماماتهم مختلفة عن ميولــك واهتماماتك.. مادامتْ لا تخالف شرع الله..

البعض ماهرٌ في التثبيط وكسر الخاطر.. فما أن تخبرْه بفكرة أو مشروع.. حتى يجهضها قبل خروجها إلى الحياة..

فالحبيب ﷺ احترم آراء صحابته.. فكانت عقولهم منفتحة على العطاء بلا حدود..

إيــاك والتثبيط.. فإنْ رأيتَ مدخناً.. فشــجْعه علــى الإقلاع عن التدخين.. وإياك أن تقول: «من رابع المستحيلات أن أراك يوماً من غير المدخنين»!..

وإن رأيتَ بديناً.. فشجعه على تخفيف وزنه.. ولا تقل له أنه من المستحيل أن يراه يوماً من الرشيقين!..

وإذا رأيت شاباً يبتكر مشروعاً جديداً.. فلا تقل له: إن مشروعك فاشل.. ساعدْه على تدارك أخطائه.. ولكن لا تهدم له حلماً..

ومهما كانت حاجة الناس للشمس..

فهي تغيب كل يوم دون أن يحزن لفراقها أحد..



لأنّهم يعلمون أنّها ستعود!..

هكذا تكون الثقة بالله..

تعيشها في كل لحظة من حياتك..

أنَّ الله تعالى سيجبرُ خاطرَك..

فخالقُ القمر والشمس قادرٌ على أن يعيد لك أيامك السعيدة..

أنْ يُعيد لك صحتَك التي اهتزتْ..

أنْ يعيد لك بيتك الذي تهدّم.. ومالك الذي ضاع..

أن يجبر خاطرك الذي تكسّر.. وفؤادَك الذي تهشّم..

وانظر في العالَمِ كم جبرَ اللهُ تعالى من قلوبٍ؟..

وكم أزال من كُروبٍ؟..

وكم أغاثَ من منكوبٍ؟..

وكم كشفَ من خُطوبٍ؟..

احمد الله على ما أفدتَ به الناس..

ولكن ذلك لا يعني أنّك قد قدمتَ كلَّ ما عندك..

فما زال هناك الكثير مِمن يحتاج إلى المساعدة..

مَنْ يحتاج إلى شمعة تضيء له الطريق..

ومن يحتاج إلى أخٍ يشد أزره وقت الضيق..

ودائماً حاول أن تكون ذلك «**الإنسان**»..

الذي لا شيء يريحه أكثر من عملِ خيرٍ.. وجبرِ خاطر..

جبر الخواطر.. يستحق صاحبها من القلب شكراً ودعاءً..

أن يجبر الله خاطره.. حين تنكسـر الخواطـر.. يوم لا ينفع مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلب سليم..

فالتزم بجبر الخواطر.. يحميك الله تعالى من المخاطر..

يردُ لك ما قدّمتَ لعباده من عمل..

ويُدخل عليك سعادة أبدية في دنياك وآخرتك..

وتكون بإذنه تعالى فى ظل النعيم المقيم..

جعلنا الله جميعاً منهم.. إنه سميع مجيب..

الدكتور حسّان شمسي باشا

جدة في ٢٢ جمادى الآخرة ١٤٤٢هـ

الموافق لـ ٥ ـ شباط (فبراير) ٢٠٢١م

عملُ يسير



جبر الخواطر لا يحتاج إلى كثير جهدٍ.. ولا كبير عمل..

فربما يكفي البعض كلمةٌ مِن شكر ودعاء..

وربما احتاج آخرون إلى عونٍ.. وللحاجاتِ قضاء..

ولعل البعض الآخر تكفيه ابتسامة!..

ربما لا يحتاج الأمر إلا التصرف بلطف واهتمام..

فالحبيب ﷺ يقول: «لا تَحقِرَنَّ مِنَ المَعْرُوف شَيْئًا، وَلَو أنْ تَلقَى أخَاكَ بوجهٍ طلقٍ»[1].

ذكَّرْتِني بأسعدِ يوم!

وهذا رجلٌ تزوج امرأة.. وبعد سنوات دخل عليها المطبخ وقد جهزتْ له طعاماً.. تذوَّقهُ.. فإذا هو مالح جداً.. فلم يغضب.. ولم يكسر الصحون..

لم يشتمْها.. ولم يُحمّل حماتَه المسؤولية.. لماذا لم تعلّم زوجته أصول الطبخ!..

---

(١) رواه مسلم.

بل وضع يديه على كتفيها وقال: لقد ذكّرْتِني الليلة بأول يوم تزوجنا فيه.. يوم كان أول عهدك بالطبخ.. وكنت تزيدين نسبة الملح فيه!..

فقالت: وهل كان الطعام مالحاً اليوم؟

قال: نعم.. ولكنه ذكَّرني بأسعد يوم في حياتي..

فجبَرَ خاطرَها.. ووصل إلى ما يريد بأحلى الأساليب.

فإماطة الأذى عن مشاعر الناس وقلوبهم.. قد لا يقلُّ درجة عن إماطة الأذى عن طريقهم..

مرَّ شابٌ برجلٍ فقير فتوقفَ عنده ليقدِّم له إحساناً..

وضعَ يدَه في جيبه.. فوجد أنه قد نسي المحفظة..

اعتذر إلى الفقير قائلاً: (**معذرةً يا أبي**).. لقد نسيتُ نقودي بالمنزل.. وستكون النقود معي عند عودتي!..

ردَّ عليه الفقيرُ قائلاً: عفواً يا إبني.. لقد أعطيْتَني أكثر من الجميع!..

دُهش الفتى وقال: لكني يا أبي لم أُعْطك شيئاً..

فقال: إنك حين اعتذرتَ لي قلتَ لي: (يا أبي).. وهذه الكلمة لم أسمعْها من أحدٍ قبلك.. وهي أغلى عندي من كل النقود!..

فتذكّروا قوله ﷺ: «الكلمةُ الطيبةُ صدقةٌ»[1].. وما أجملها من صدقة!..

---

(١) حديث صحيح رواه ابن حبان.

فالكلمة الطيبة تصنع المعجزات..

قد تنقذ بها شـــخصاً فقَدَ حبَّ الحياة.. واستسلمَ لأفكارٍ أدخلتْه في عزلةٍ واكتئاب..

فأصبح يرى الدنيا كأنها سجنٌ ليس فيه هواء!..

الكلمة الطيبة تغرس في النفوس الأمـــل والتفاؤل.. وتزرع فيها محبة الآخرين..

هي صدقة جارية لمن تفوَّه بها..

وهي نبتةُ أملٍ تُثمرُ عند مَنْ تلقَّاها..

وجبر الخواطر يعني تثبيت الآخر.. ورفع همته..

تهوين مصيبته.. وإقالة عثرته..

والأخذ بيده حتى يقف مرة أخرى على قدميه..

جبر الخواطر قد يكون بمشاركة المشاعر..

مشاعر فرحٍ كانت.. أم مشاعر حزن..

فاجبروا الخواطرَ.. وشاركوا المشاعرَ..

واعلموا أنَّها عبادةً لا ينساها اللهُ القويُّ الجبار..

كن بلسماً إن كان دهرك أرْقما وحلاوةً إنْ صار غيــرُك علقما

ركِبَ أحدهم الطائرة وبجانبه امرأةٌ مســنة.. وفي الطائرة قُدِّمت وجباتُ الطعام.. ومع كل وجبة قطعةُ حلوى بيضاء!..

فتحت المرأةُ المسنةُ **قطعةَ الحلوى وبدأت تأكلها بقطعة خبز..** ظناً منها أنها جبنة بسبب لونها الأبيض!..

وعندما اكتشفتْ أنها حلوى شعرت بحرج شديد.. ونظرتْ إلى الرجل الذي بجانبها.. فتظاهرَ بأنه لم يرَ ما حصل.. ثم قام بفتح قطعة الحلوى في صحنه.. وقام بما قامت به المرأة!..

ضحكتْ المرأة.. فقال لها: سيدتي لماذا لم تخبريني أنها حلوى وليست جبنة؟

فقالت المرأة: وأنا كنت أظنها جبنة مثلك!..

عرَفَ أنها ليست جبنة.. لكنه **راعى مشاعرها وجبر خاطرها!!**[(١)].

وذات مرة قام عريف حفل بتقديم أحد المتحدثين ليلقي كلمة في الناس.. وبعد أن عرَّف به قال: «**فليتفضل مأموراً غير مشكور!**»..

أخطأ وكان الواجب أن يقول: **مشكوراً غير مأمور...**

فضحك الناس منه.. ولكن المتحدّث تدارك الأمر وجبر خاطره..

وقال: أحسنَ أخي عريفُ الحفل في قوله «مأموراً غير مشكور»..

فالله أمرَنا أن نقول الحق.. وننطق بالصواب..

ولا داعي لشكرنا على ذلك فهو واجب علينا.. وقد قيل: لا شكر على واجب[(٢)].

---

(١) أ. علي بطيح العمري: جبر الخواطر.. عبادة وفن! (يتصرف)

(٢) د. ياسر مصطفى يوسف: جبر الخواطر خلق إسلامي نبيل. (بتصرف)

يدخل أحدهم بيته.. فيراه مرتباً جميلاً.. ويجد الطعام جاهزاً..

فيغفل أن يحمد الله أولاً.. وينسى أن يشكر زوجته.. ويثني عليها ولو بكلمة حلوة..

لا تتردد في شـــكر الآخرين.. فالحبيب ﷺ يقول: «من لم يشْكرِ النَّاسَ لم يشْكرِ اللَّهَ»(١)..

وتذكّرْ دوماً كم من المسلمين من لا مأوى له ولا سكن؟

كم من المسلمين من لا يجد الطعام؟

كم مَنْ لا زوجة له أو زوج؟

يقول أَبو الْعَبَّاسِ الْمُبَرِّدَ:

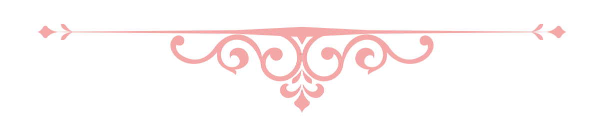
إِذَا شِئْتَ أَنْ تَبْقَى مِنَ اللهِ نِعْمَةٌ عَلَيْكَ فَسَارِعْ فِي حَوَائِجِ خَلْقِهِ

وَلَا تَعْصِيَــنَّ اللهَ مَا نِلْــتَ ثَرْوَةً فَيَحْظُــرَ عَنْكَ اللهُ وَاسِــعَ رِزْقِهِ

❋ ❋ ❋

(١) صحيح الترمذي: ١٩٥٥.

جبر الخواطر.. لماذا؟



جبر الخواطر يسهم في إشاعة الخير بين الناس.. وانتشار الحب والتراحم..

وكلها مما يثيب الله عليه.. ومما أمر به الحبيب عليه الصلاة والسلام.

وقد يكونُ المرءُ مشتتَ الروحِ والبال.. فتحتضنهُ مواساةُ الله..

أو يكونُ منطفئًا.. فيولدُ نورُ الحبِّ في قلبهِ..

ليُنجِبَ نَبضًا مُختَلِفَ الإيقاع..

ففي عزِّ انكسارك..

تتدخل العناية الإلهيّة.. لترميم ما أفسده الآخرون فيك..

وجبر كلّ الكسور بداخلك..

ويبدأ ربيع قلبك يُزهر من جديدٍ.. وكأنّ جرحاً لم يكن..

هكذا يكونُ العطاء من اللهِ بعدَ الكسر والحرمان..

وهل الإنسان إلا شجرةٌ.. تَمُرُّ بفصولِ العُمرِ الأربعة..

تذبلُ أوراقها تارةً.. وتزهرُ تارةً أخرى..

فلا خريفاً قاتماً يَدوم.. ولا ربيعًا للنهاية يُزهرُ..

ينزل رسولنا الكريم ﷺ من الطائف محمّلاً بالحزن والانكسار.. بعد أن أدمى صبيانُ الطائف عقبيه الشريفتين بالحجارة..

يراه ملك الملوك.. يرى قلبه المكتظ بالآهات والحسرات.. فيرسل جبريل معه ملك الجبال في مهمّة خاصة.. يدك بها الجبال الراسية..

فينظر ملَك الجبال إلى مكة التي تسبب أهلها في خروجه.. ويقول: إن شئتَ أن أُطبق عليهم الأخشبين فعلتُ يارسول الله..

ولكن الحبيب صاحب الرحمة المهداة يرفض إهلاك قومه قائلا: «أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللهَ وحْدَهُ، لا يُشْرِكُ به شيئًا»[1].

ومرة أخرى جبَر خاطرَ رسول الله ﷺ.. فقد **أحبَّ مكة** التي وُلد فيها ونشأ على ترابها.. ثم أُخرج منها ظلماً وعدواناً.. فاحتاج في هذا الموقف العصيب.. والفراق الأليم.. إلى مواساة وصبر.. فأنزل الله تعالى قرآناً مؤكداً بقسَمٍ أن الذي فرض عليك القرآن وأرسلك رسولاً.. سيردُّك إلى موطنك مكة عزيزاً منتصراً..

وهذا ما حصل..[2] ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ قُل رَّبِّىٓ أَعْلَمُ مَن جَآءَ بِٱلْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾ [القصص: ٨٥].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) أ. مهدي راسم اسليم: جبر الخواطر. (بتصرف)

جبرُ الخواطرِ خُلقٌ كريـمٌ.. ومعنى عظيمٌ.. من صفاتِ اللهِ تعالى التي يُحبُّ أن يراها في عبادِه المتقينَ..

ولهـذا كانَ الحـظُّ الأوفـرُ منهـا لسـيِّدِ المُرسـلينَ.. وإمامِ المتقينِ عليه الصلاة والسلام..

أوصاهُ اللهُ تعالى بعدمِ كسـرِ الخواطرِ فقالَ: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ٩ ـ ١٠].. فالتـزمَ بها.. لأنَّـهُ «كانَ خُلُقُه القرآنَ»(١).

وفي قوله تعالـى: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ ۝ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ أجمل تطييب للخاطر.. وأرقى صور التعامل..

فيخاطب الله نبيه ﷺ: فكما كنتَ يتيمًا يا محمد ﷺ، فآواك الله..

فلا تقهَر اليتيم ولا تذلَّه.. بل طيِّبْ خاطره.. تلطَّفْ به..

أحسِن إليه.. واصنَع به ما تحب أن يُصنَع بولدك من بعدك..

نهى الله تعالى عن نهر السائل وتوبيخه..

وأمر بالتلطُّف معه.. وتطييب خاطـره.. **كي لا يذوق ذُلَّ النَّهْر.. مع ذُلِّ السؤال.**

وعندما يئس **نوحٌ** عليه السلام من إيمـان قومه ونالت السـخريةُ قلبَ نوح.. نظر إلى السماء ﴿فَدَعَا رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَغْلُوبٌ فَٱنتَصِرْ﴾ [القمر: ١٠].. فأتاه

---

(١) صحيح الجامع: ٤٨١١.

الجواب ﴿ فَفَتَحْنَآ أَبْوَٰبَ ٱلسَّمَآءِ بِمَآءٍ مُّنْهَمِرٍ ﴾ [القمر: ١١].. أغرق الكرة الأرضية من أجله..

وجبَرَ بخاطر **أم موسى** عندما اشتاقت لولدها.. فاستجاب الله لها وردَّه إليها..

وجبر بخاطر مريم العذراء.. عندما أهانها الناس فجعلها من أفضل سيدات أهل الجنة.. وجعل ولدها نبياً مرسلاً..

وهذا نبي الله **موسى** عليه السلام.. لما رغبتْ نفسُه إلى رؤية الله تعالى.. وطلب ذلك منه.. أخبره سبحانه أن ذلك غير حاصل له في الدنيا..

ثم جبر خاطره بما آتاه فقال: ﴿ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّى ٱصْطَفَيْتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِى وَبِكَلَٰمِى فَخُذْ مَآ ءَاتَيْتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ﴾ [الأعراف: ١٤٤].

وها هو عز وجل **يجبرُ خاطرَ الرَّحمِ** لمَّا عاذتْ به من القَطيعةِ..

قَالَ الحبيب ﷺ: «إنَّ اللهَ خَلَقَ الخَلْقَ، حتَّى إذا فَرَغَ مِن خَلْقِهِ، قالتِ الرَّحِمُ: هذا مَقامُ العائِذِ بكَ مِنَ القَطِيعَةِ، قالَ: نَعَمْ، أما تَرْضَيْنَ أنْ أصِلَ مَن وصَلَكِ، وأَقْطَعَ مَن قَطَعَكِ؟ قالَتْ: بَلَى يا رَبِّ، قالَ: فَهو لَكِ قالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: فاقْرَؤُوا إنْ شِئْتُمْ: ﴿ فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوٓا۟ أَرْحَامَكُمْ ﴾ [محمد: ٢٢]».

وما أجمل جبر الخواطر في قوله تعالى للحبيب المصطفى ﷺ:

﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ الضحى: ٥، انظر إلى روعة العطاء في هذه الآية..

عطاءٌ مستمر لا يتوقف.. حتى يصل بك إلى مقام الرِّضا..

وما أروعه من مقام؟!..

وهي رسالةٌ إلى كل مهموم ومغموم.. وتسليةٌ لأصحاب الحاجات..

فَرَجٌ لكل مَن هو في بلاءٍ.. إنْ لجأَ إليه بصِدْقٍ رجاء..

كم منا من يطير فرحًا إذا ابتسم أحد الناس في وجهه..

وكم منا من لا تسعه السعادة.. إذا سمع كلمة تشجيع أو استحسان من غيره..

يقول الشيخ الدكتور ماهر حمد المعيقلي: «وأحكام الشريعة جاءت بمراعاة الخواطر وجبرها.. وتطييب النفوس عند كسرها..

فشُرعت الديةُ في قتل الخطأ.. جبراً لنفوس أهل المجني عليه وتطييباً لخواطرهم.. واستُحبت التعزية لأهل الميت.. لتسليتهم ومواساتهم..

وفُرضتْ زكاة الفطر جبراً لقلوب الفقراء.. وليفرحوا بالعيد كما يفرح به الأغنياء.. فمراعاة المشاعر.. وجبر الخواطر.. جزء من شريعة الإسلام.. وعبادة نتقرب بها إلى الرحمن..

وصاحب النفس العظيمة.. والقلب الرحيم.. شفوق بإخوانه.. رفيق بهم.. يحب لهم الخير كما يحبه لنفسه..

يتسع صدره لهم فيتجاوز عن هفواتهم.. ويلتمس الأعذار لأخطائهم.. يجبر خواطرهم ويطيب نفوسهم..

وأما صاحب القلب القاســي.. فقد مضت سنة الله تعالى أن ينفر الناس منه.. فلا يُقبَل منه توجيه ولا تسمع منه نصيحة.. ولا يرتاح له جليس.. ولا يأنس به ونيس.[1] ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ لِنتَ لَهُمْۖ وَلَوْ كُنتَ فَظًّا غَلِيظَ ٱلْقَلْبِ لَٱنفَضُّواْ مِنْ حَوْلِكَ﴾ [آل عمران: ١٥٩]..

وعبادة جبر الخاطر تعني أن تطيّب قلب أخيك.. وأن تجبر كسره الذي أصابه..

أن تهوّن عليه الأمر وأن تكون بجواره.. سنداً وعوناً..

وأن تداوي جراحه وتطببها.. ولو بكلمة..[2] وصدق الله تعالى إذ يقول: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًىۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣].

والرســول ﷺ يقول: «مَن نَفَّسَ عن مُؤْمِنٍ كُرْبَةً مِن كُرَبِ الدُّنْيَا، نَفَّسَ اللَّهُ عنْه كُرْبَةً مِن كُرَبِ يَومِ القِيَامَةِ، وَمَن يَسَّرَ علَى مُعْسِرٍ، يَسَّرَ اللَّهُ عليه في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَمَن سَــتَرَ مُسْلِمًا، سَــتَرَهُ اللَّهُ في الدُّنْيَا وَالآخِرَةِ، وَاللَّهُ في عَوْنِ العَبْدِ ما كانَ العَبْدُ في عَوْنِ أَخِيهِ»[3]..

فإن نفَّستَ عن مؤمن كربة.. ألا تجبر بذلك خاطره..

وإن يسَّرتَ له ما تعسّرَ من أمرٍ.. ألا تطيّب بذلك خاطره..

---

(١) د. ماهر بن حمد المعيقلي: جبر الخواطر، خطبة الجمعة، ١١ ربيع الأول ١٤٤١هـ.
(٢) د. عبدالواحد أبو حطب: جبر الخواطر. (بتصرف)
(٣) رواه مسلم.

وإن حفظتَ سره وسترتَ عيبه.. ألا تُطمْئن بذلك قلبه؟..

جبر الخواطر ذلـك دأب أولي النهى وترى الجهول بكسـرها يتمتع

فاجعل كلامك بلسماً فيه الشفا لا مشرطاً يُدمي القلوب ويُوجع

تطييب الخواطِر عبادة منسـية غابت عـن مجتمعاتنا.. في زمن كثرت فيه الأنانيات.. والاهتمام بالذات.. ونسيان الآخرين..

وظروف النـاس تعقّدت.. والديونُ كثُرت.. والمآسـي تراكمتْ واستفحلت.. والهموم تشعبت وتنوعتْ..

والحبيب ﷺ يقول: «لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ، حتَّى يُحِبَّ لأخِيهِ ما يُحِبُّ لِنَفْسِهِ»[1].

وجبر الخواطـر من أكثر العبـادات التي يمكـن أن يتقرب بها الإنسان إلى ربه..

فيهـا تأليف للقلـوب.. وتوحيـد للصفوف علـى طريق الحق والخير[2].

فالأمّة لا تحتمـل ما نحن فيه من تفرق وتشـرذم.. وهي أحوج ما تكون إلى وحدة القلوب.. وتصفية النفوس..

كن من الذين يجعلون معروفهم سـرًّاً..

---

(١) رواه البخاري.

(٢) د. علا الإسلام: جبر الخواطر عبادة إيمانية وخلق نبيل. (بتصرف)

ولا تكن من الذين يجعلون سرّهم معروفاً..

وجابر الخواطر لن ينسـه ربه مهما طال الزمن.. وسـيعطيه ربه ثواباً عظيماً جزاء جبره لخاطر غيره.

اجبر خاطر غيرك ولو كنت لا تعرفه.. فإن فعل المعروف يكون في كل شخص يقابلك وله عندك حاجة...

ما أجمل أن تزرع البسـمة على شـفاه الآخرين.. وما أروع أن تسمع الدعاء ممن ساعدته.. وجبرت خاطره..

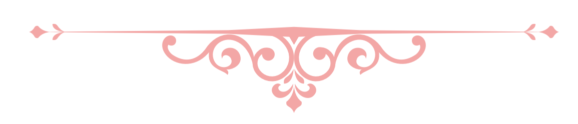
ولعلك تستشـعر ذلك عندما تذهب لتوزيع مساعدات إغاثية.. مساعدات لم تُنقص من أموال المتبرعين شيئاً.. ولم تُغن اللاجئين أو المنكوبيـن.. لكنها تمثـل «جبر خاطر» لهـم.. خصوصا وأنك لا تعرفهم ولا يعرفونك..

فهنيئاً لمن جبر خواطر مكسورة.

وحتى في السُّرورِ والأفراحِ.. فجبرُ الخواطرِ للمحبةِ مفتاحٌ..

* * *

«الجبار» جلَّ في علاه



اسم الجبار فيه صفة علوّ وقوة..

وفيه أيضاً صفة رأفة ورحمة..

يقول الطبري رَحِمَهُ ٱللَّهُ: «فمن أسماء الله تعالى (الجبّار).. لأنه المصلحُ أمرَ عباده.. القاهرُ لهم بقدرته»[(١)].

فكما أن (الْجَبَّارَ) بمعنى القَّهارِ وهو الذي دانَ لهُ كلُّ شيءٍ.. وخَضعَ له كلُّ شيءٍ.. ولا يقعُ في هذا الكونِ شيءٌ إلا بمشيئتِه ـ سبحانه ـ.. فما شَاءَ كانَ.. وما لم يَشأْ لم يكنْ..

فهو أيضاً.. بمعنى «الرَّؤوفِ» الجابرِ للقلوبِ المنكسرةِ..

يجبرُ الكسيرَ.. ويُعيذُ من لاذَ بهِ ولجأَ إليهِ..

ويُجيبُ دعوةَ الدَّاعِ إذا رفعَ يديهِ..

جبَرَ الفقيرَ والمسكينَ.. حين شرع الزكاة والصدقات..

وجَبَرَ المريضَ.. حين جعل له أجراً..

(١) تفسير الطبري.

إذا تقبَّل البلاء بالصبر والرضا..

يقول ابنُ القيِّمِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ في نونيتِه:

كَذلِــكَ الجَبَّــارُ فــي أَوْصافِهِ	والجَبْــرُ فــي أَوْصَافِــه نَوْعَانِ
جَبْرُ الضَّعِيفِ وكُلُّ قَلْبٍ قد غَدَا	ذَا كَسْــرَةٍ فَالجَبْــرُ مِنْـهُ دَانِ
والثَّاني جَبْرُ القَهْــرِ بِالعِزِّ الَّذي	لا يَنْبَغِــي لِسِــوَاهُ مِنْ إِنْسَــانِ

وللجبّار عدة معان[1] منها:

الذي يجير الضعيف.. ويُغنِي الفقير..

يُيّسر على المعسِر كل عسير..

ويَجبر المُصاب بتوفيقه للثبات والصبر..

ويثيبه على مصابه أعظم الأجر..

ويجبر جبراً خاصاً قلوب الخاضعين لعظمته وجلاله..

وقلوب المحبّين.. بما يفيض عليها من أنواع كراماته..

وإذا دعا الداعي فقال: «اللهم اجبرني، فإنه يريد هذا الجبر الذي حقيقته إصلاح العبد.. ودفع جميع المكاره عنه»[2].

(١) البيهقي، أحمد بن الحسين (ت: ٤٥٨هـ): الأسماء والصفات، تحقيق: عبد الله بن محمد الحاشدي، (جدة، مكتبة السوادي)، (٨٩/١).

(٢) عبد الرحمن السعدي: تفسير أسماء الله الحسنى، (المدينة المنورة: الجامعة الإسلامية) (ص: ١٧٧).

ويَدْخلُ في ذلكَ ما يَفْعلهُ سُبْحانهُ وتَعالى بأعداءِ الرُّسل وأتْبَاعِهم..

فانْتِقَامه مِن أعدائِهم يَشْفِ صُدورَهم ﴿وَيَشْفِ صُدُورَ قَوْمٍ مُّؤْمِنِينَ﴾ [التوبة: ١٤].

وفي اسْمِهِ «الجَبَّار» يَجْبُر كَسْرَنَا وللِعُسْرِ باليُسْرَينِ فِينَا يُبَدِّلُ
وفي اسْمِهِ «الجَبَّار» رِفْعَةُ ذَاتِهِ وَأخْذٌ عَلَى العَاصِي شَدِيدٌ ومُعْضِلُ

ومن لطف الجبار وكرمه.. يَنْزِلُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى كُلَّ لَيْلَةٍ إِلَى السَّمَاءِ الدُّنْيَا.. حِينَ يَبْقَى ثُلُثُ اللَّيْلِ الْآخِرُ.. فَيَقُولُ: مَنْ يَدْعُونِي فَأَسْتَجِيبَ لَهُ، وَمَنْ يَسْأَلُنِي فَأُعْطِيَهُ، وَمَنْ يَسْتَغْفِرُنِي فَأَغْفِرَ لَهُ[1]..

فيشفي مريضاً.. ويعافي مبتلىً..

يغيث ملهوفاً.. ويعطي سائلاً..

يفرج كرباً.. ويكشف هماً وغماً..

لقد سمع الله حديثك مع نفسك وأنت تُهون عليها.. وتُخبرها بأن ربك سيجبُرها..

أتظنّ أن الله سيخذِلك؟

فالله ﷻ يجبر الفقير بالغنى..

والضعيف بالقوة..

(١)

والمنكسرة قلوبهم.. بإزالة كسـرها.. وإحلال الفرج والطمأنينة فيها..

اهمس في ليلك الداجي: يا جابر المنكسرين اجبر كسري وتولَّ أمري.. ثم تأمّل كيف تسمو روحك ويرتقي فؤادك..

كان الحبيب ﷺ يدعو: «اللهم اغفِرْ لـي ذنوبي وخطاياي كلَّها، اللهم أَنعِشْـني **واجبُرْني**، واهدِني لصالحِ الأعمـالِ والأخلاقِ؛ فإنه لا يهدي لصالحها ولا يصرفُ سيِّئَها إلا أنت»[(١)]..

وعن أبي أيوب الأنصاري قال: «ما صلَّيـتُ وراءَ نبيِّكم ﷺ إلَّا سـمِعْتُه يقولُ: اللهمَّ اغفِرْ لي خَطَئي وذنوبي كلَّها.. اللهمَّ **أنعِشْـني** وارزُقْني.. **واجبُرْني**...»[(٢)].

وعندما ندعوه جل في علاه: (واجبرني) فكأننا نتكسّر في اليوم كثيراً.. فنحتاج أن يجبرنا الله كثيراً كثيراً..

وعند أهل الشام دعوةٌ ينهي أحدهم بها اللقاء فيقول: «**ربّي يجبر بخاطرك**»..

دعوة فيها أُنسٌ ورِّقّة.. وراحةٌ واطمئنان.. وأمنٌ وأمان..

فإذا جبَرك الجبّارُ.. فمن يستطيع كسرك؟

(١) صحيح الجامع: ١٢٦٦.

(٢) أخرجه الطبراني (٤/١٢٥)، والحاكم (٥٩٤٢) باختلاف يسير. وقال الذهبي في مجمع الزوائد: رجاله وثقوا.

وإذا أعطاك.. فمن يقدر أن يمنعك؟..

فما بالك بمن أضعفتـــه الذنوب والخطايا.. فمـــن ينعش قلبك بالتطهير منها إلا الله..!

فإذا غشيتك الكروب.. فلا تطل البكاء.. بل وجّه سجّادتك إلى القبلة.. واسأل الله ما تشاء..

فعشْ أيامك ولياليك مع «الجبّار»..

اجعل هذا الإسم بلسماً ودواءً لآهات روحك..

أيقظ به رياحين حب الله في قلبك..

عش في بحبوحة الأمل والرجاء..

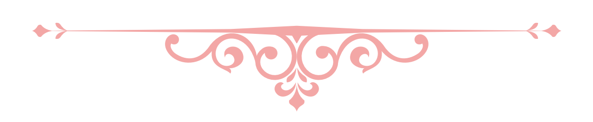
واحسن الظن برب الأرض والسماء..

أن يجبر لك خاطراً..

ويُنهي آهات العذاب الذي كنت تحياه.

***

لا تكسروا القلوب!



حذار أن تكسر قلب شخص بكلمة.. أو تصرف..

ربما تُبكيه.. وأنت لا تعلم..

قد توجعه.. وأنت لا تشعر..

قد تجعله شخصاً آخر.. وأنت لا تعرف..

وربما تسمع من أحدهم يقول: «كسرني فلانٌ» بتصرفه..

قد لا تدرك كمية الألم التي في قلبه..

ضع نفسك مكانه.. وتأمل حجم الألم..

والكلمة البسيطة التي لا تعطي لها بالاً.. قد تكسر قلباً لا ينفتح..

ولو كانت معك مفاتيح أهل الأرض..

فاختر من الكلمات أطيبها واكسب محبة الآخرين..

فمن أحبه الله.. ساق إليه محبة الناس..

كم تلقَ مَنْ تظنُّ أنه دونك!..



فلا تلتفتْ إليه.. ولا تشعرْ بوجوده..

ثم إذا أعرض عنك مَنْ هو فوقك.. تتألم!..

وترى ذلك جرحاً لشعورك.. وكسراً لقلبك!..

يقول أحـد العارفين: اللهم لا تُنـزل دموعي عند مـن لا يُقدِّر خاطري...

وينكسر الزجاج.. فينتهي الكسْر بصوت عالٍ وسريع..

ولكن تبقى بعض قطع الزجاج.. تجرح مَنْ يلامسها..

كذلك الكلمةُ الجارحة تنتهي.. ويعشعش في القلبُ ألمٌ مديد..

وحين نتألم من كلام مَنْ نحبهم.. نحزن مرتين..

مرة من قسـوة كلامهم.. وأخرى لأننا عاجـزون عن الرد بنفس أسلوبهم!..[١]

فما أقبح الإنسان الذي يكسر قلبك أمام الناس..

يجرحك ويحرجك أمام الملأ..

ثم يعتذر منك في الخفاء!

فإياك وكسر الخواطر..

---

(١) د. نيرمين ماجد البورنو: العبادة المهجورة. (بتصرف)

فإنها ليست عظاماً تُجبر..

بل أرواحاً تُقْهر..

احذر أن تكسر خاطر أحد..

فلا شيء أمَرُّ على الإنسان من كسر خاطر!..

وكم في الحياة من انكسارات؟

إهانةٌ من رئيس تتحطّم منها النفوس..

فقرٌ تنحني معه الهامات..

ومرضٌ تنهار عنده الأجسام..

فراقٌ تتكسّر فيه القلوب..

وظروف تتنكّس فيها الرؤوس!

وعل قدر تلك الانكسارات والخسارات..

تتفتّح أبواب السماء بفيض من الرحمات..

فكم من يتيم تكسّر بنظرة من متغطرس..

ولولا الجبّار لتحطمتْ نفسُه إلى الأبد..

وكم من ضعيف صفعتْه الحياةُ..

ولولا الجبّار لظلّ مطأطئ الرأس حياته كلها..

وكم من فقير أذلّته كلمة قالها أحد الكبراء..

ولولا الجبّار لظلت وصمةً يُعيَّر بها طوال عمره..

وكم من أشخاص عانوا قسوة ذويهم أو رؤسائهم..

وخرجوا غاية في الرحمة؟..

كم من أناس عانوا من سخرية زملائهم..

ثم صاروا في الحياة من الناجحين؟..

كم من المرضى عانوا الأيام والشهور..

ثم صاروا من بعدها أصحاء أقوياء؟..

أين تلك المصائب والآهات..

وأين آثار تلك الكوارث والملّمات؟

لقد جُبرتْ.. نعم جُبرتْ واختفتْ..

أخفتْها ضماداتُ الرحمة الإلهية..

ومحتْ آثارها العناية الربانية..

وتتزاحم الآلام في قلب إنسان..

حتى يظن أنّ ليس لها كاشف..

فإذا الجبّار يجبر القلوب..

وينسى العبدُ الآلام والأوجاع..

لم يُذهبْها الجبار فحسب..

بل جبر المكان الذي حطّمتْه..

فعاد كأن لم يتهشّم من قبل..[1]

وكسْرُ الخاطر أخطر ما يمر به إنسان..

فحين يشعر أن لا قيمة له.. وأن غيره أفضل منه..

يبدأ التثبيط والتحطيم..

بل ربما الضياع والانحراف!..

فكسرُ الخاطر ربما يعني كسر الكرامة!..

وكأنما يقال له: لا كرامة لك ولا احترام!.

فهذا امرؤٌ سعيدٌ بما أنجز..

ثم لا يجد وراء ذلك إلا إهانةً واستهزاءً..

فيكره عمله.. ويكره الصواب والفضيلة..

بل ربما يحيد عن درب الرشاد..

وكأن كسر الخاطر كسرٌ لأفضل ما عند إنسان..

---

(١) أ. علي جابر الفيفي: لأنك الله. (بتصرف)

كأنك تقول له: أنت غير مقبول.. ولاتستحق شكراً ولا ثناءً!..

ولربما عندها يقول: إنْ كان أفضل ما عندي قد رُفض..

فلِمَاذا أستمر في العمل والعطاء؟[1].

من يهنْ يسهل الهوانُ عليه... ما لجرحٍ بميتٍ إيلامً.

قيل لأعرابيةٍ:

ما الجُرْحُ الذي لا يندمل؟..

قالت: حاجةُ الكريمِ إلى اللئيم.. ثم يَرُدُّهُ فلا يعطيه!..

فقيل لها: فما الذلُّ؟

قالت: وقوفُ الشريفِ بباب الدنيء.. ثم لا يُؤذنُ له!..

لا تتباهى بقوتك أمام مسكين ضعيف.. ولا بسعادتك أمام مكلوم حزين..

ولا تتحدث عن حريتك أمام مسجون..

ولا عن ثروتك أمام فقير محتاج..

ولا تتباهى بوالديك أمام طفل يتيم..

وإياك أن تُشعر مريضاً بإعاقته.. أو مشلولاً بعجزه..

زنْ كلامك بحكمة.. وانتبه لمشاعر الآخرين من حولك..

(١) الوراق: احذر أن تكسر خاطر إنسان. (بتصرف)

فمن المؤلم أن تكتشــف أن الكتفَ التي اتــكأتَ عليها يوماً.. ما كانت إلا جداراً هشاً..

فلا تكسر خاطر أحد!

فالقلوب لا تُصدِر أصواتاً لحظة كسرها!

ولكنها تسبّب جروحاً غائرة.. يعجز الأطباء عن شفائها!..

وكسرك لمشاعر الاخرين ليس مصدر قوه لك.. ولا يرفع قدرك بينهم..

بل هو خلْقُ أجواءٍ مليئةٍ بالبغضاء والضغينة.. والبعد والحرمان..

خاصة حينما يأتي الكسر من شخص عزيز على قلبك..

كان الحبيب ﷺ مثــلاً يُحتذى به في جبر الخواطر الكســيرة.. والقلوب المفطورة..

تراه مع المكسورة أفئدتهم.. يضمد جراحهم..

ويحنو عليهم بكلمات شافية.. ولمسات حانية..

صغاراً كانوا أو كباراً.. رجالاً أو نساءً..

فليس إنســانٌ خاليًا من نصب.. ولا سالمًا من وصب.. لكن كن كما قال رَسُولَ اللهِ ﷺ: «مَنِ اسْتَطَاعَ أَنْ يَنْفَعَ أَخَاهُ فَلْيَفْعَلْ»[(١)]..

(١) صحيح الجامع: ٦٠١٩.

فكن كرسول الله ﷺ . وسر في الأرض جابراً للخواطر..

زارعاً للبسمة والحبور.. ومُلَمْلِمًا جراح المنكسرين في غياهيب الدروب.

سلاماً للذين يظن الناس أنهم في بُحبوحةٍ من العيش..

يخفون مشاعرهم.. حتى يتوهم المرء أن الحزن لم يعرف طريقاً إلى قلوبهم..

رغم أنه يُحِيطُ بهم من كل حدبٍ وصوب!

سلاماً للذين يُخفِّفُون عن الناس آلامهم وأحزانهم..

ويُهوِّنُون عليهم وطأة الحياة.. وثقال الهموم..

ويبعثون في نفوسهم الأمل والرجاء..

لا ينتظرون من أحدٍ جزاءً ولا شكوراً..

ولو أنك اطَّلعت على ما في قلوبهم من أحزان وأهوال لانهارتْ قواك!

ولكنك لن ترى منهم إلا فيوض العطاء..

فهك يُزهِرُون في شتاء المصائب والكروب..

ويُشرِقُون في ظُلمة الليالي الحالكات..

يَتبسمُون في خضم المآسي والأحداث..

شاحذين همم المنكسرة قلوبهم.. وجابرين منهم الخواطر..

كمْ بَاسِـــمٍ والحُزنُ يَمْـلَأُ قلبهُ والناس تَحســـبُ أنَّهُ مســـرورُ

وتراهُ في جبْرِ الخَواطرِ سَــاعياً وفــؤادُهُ مُتصــدعٌ مكســـورٌ

(جهاد جحا)

خذ بيد المكروب وارفع همته.. واعمــل على تهوين مصيبته.. بنصيحةٍ.. أو بكلمة تجبر كســر خاطره.. أو حتى بابتســامة تطيب جراح قلبه الدامي.

أيها المنكسرون.. لا تقنطوا من رحمة الله..

فسيجبر الجبار قلوبكم..

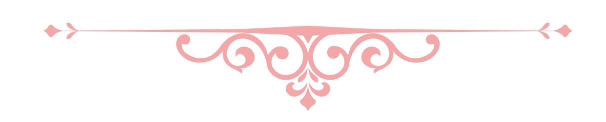
سيرسل إلى قلوبكم طيور الرحمة والحنان..

وانكساركم لن يدوم.. طالما ازددتم من الله قرباً..

فلن يجبر كسر قلوبكم.. إلا ربكم..

***

القلب المنكسر Broken Heart



عندما تتعرض لضغط عصبي شـــديد بعد حالة وفاة أو طلاق أو انفعال شـــديد.. أو حتى فرحة مفاجئة.. وتشعر كما لو أن «قلبك قد انكسر».. فأنت لا تبالغ..

فالأمر في الحقيقة واقعي.. وقد نجـــح الطب في إثباته!.. وهي حالة طبية تم اكتشافها لأول مرة في عام ١٩٩٠ باليابان.

وهذه امرأة في الخمســـينيات من العمر.. ما أصيبت في حياتها بمرض السكر ولا ارتفاع ضغط الدم أو الكولسترول.. وما كانت من المدخنات.. أُدخلت قسم الطوارئ بجلطة حادة في القلب مع فشل حاد في عضلـــة القلـــب.. وُضعت على جهـــاز التنفـــس الصناعي وأعطيت العلاج اللازم..

سألتُ زوجها ماذا حدث؟

فقال: ما شكت زوجتي يوماً من ألم في الصدر إلا قبل ساعتين؟ حدث خصامٌ كبيـــر بيني وبينها.. وانفجرتْ غاضبة غضباً شـــديداً.. وما هي إلا دقائق معدودات حتى شـــكتْ من ألم شديد في الصدر وضيق في التنفس..

أجري لها قسطرة قلبية.. فكانت شــرايين القلب مفتوحة وما بها سدد!.. ولكن إيكو القلب أظهر ضعفاً شديداً وتوسعاً في قمة القلب..

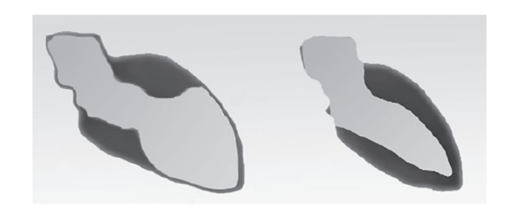
شرحت النتيجة للزوج.. وأخبرتُه أن التعرض لضغط نفسي شديد قد يكون السبب في ما جرى للقلب..!

وهذا ما يسمى بالقلب المنكســر أو «**متلازمة القلب المنكسر**» **Broken Heart Syndrome**.. وتُســمَّى أيضًــا «اعتــلال عضلة القلب الإجهادي»، أو «اعتلال تاكوتسيبو لعضلة القلب». وهي أكثر شيوعاً في النساء بعد سن الضهي..

وتحدث غالبًا بعد المواقف المسبِّبة للتوتُّر والعواطف الشديدة.

ويشــعر المصاب عادة بألم شــديد مفاجئ في الصدر.. ويعصر الألم فؤاد المريضة عصراً نتيجة الانفعال النفســي.. وأعراضه تشبه أعراض جلطة القلب..

ويؤثِّر المرض على قمــة عضلة القلب.. فيُعَطِّــل وظيفة القلب بشكل مُؤَقَّت.. أما بقية عضلة القلب فتستمر بالعمل بشكل طبيعي.. وتتحسن الحالة عادة خلال أيام أو أسابيع.



قلب طبيعي

متلازمة القلب المكسور

وتحدث متلازمة القلب المنكسـر عادةً بعد التعرض لتجربة جسدية أو عاطفية قاسـية.. كوفاة شـخص عزيز.. أو تشخيص مرض مخيف كالسـرطان.. أو عنف أسري.. أو طلاق.. بل ربما تنجم عن سماع خبر سـار أو حتى ربح كثير من المال كما في المسـابقات.. وقد تحدث عنـد الانخراط فـي خلافات كلامية حادة.. أو تحدث أمام جمهور.. أو عند فقدان وظيفة وصعوبات مالية كبرى.

والسبب الدقيق لحالة القلب المنكسـر غير واضح.. ويُعتقد أن زيادة هرمونات الإجهـاد، مثل الأدرينالين، قد تُلحـق ضررًا مؤقتًا بالقلب لدى بعض الأشخاص.

وتختلف متلازمة القلب المنكسـر عن النوبة القلبية.. إذ تنشـأ النوبات القلبية عن انسداد كلي أو شبه كلي في أحد شرايين القلب. بسبب تجلط دموي يتشـكل في موقع متضيق من الشريان ناتج من تصلب الشـرايين.. أما في متلازمة القلب المنكسر فشرايين القلب طبيعية مفتوحة.

ومـن المحتمل أيضًـا أن تتعـرض للإصابة بمتلازمـة القلب المنكسر مرة أخرى إذا تعرضت لحادث آخر يسبب توترًا نفسيًا.. إلا أن احتمالات حدوث ذلك منخفضة (لا تتجاوز ١٠٪)..[١]

(١) Shah RM, Shah M, Shah S, Li A, Jauhar S. Takotsubo Syndrome and COVID-19: Associations and Implications. Curr Probl Cardiol. 2020 Dec 11;46 (3): 100763, https://my.clevelandclinic.org/, https://www.mayoclinic.org/

ويقدر الباحثون أن أكثر من ١٢٠٠٠ شــخصاً يصاب بهذا المرض سنوياً في الولايات المتحدة.. وتشير التقارير إلى ازدياد حدوث هذا المرض في زمن وباء كورونا بشكل واضح[١].

ولهــذا ينبغــي أن يبتعد المصــاب عــن الانفعالات النفســية ما استطاعوا..

رفقاً بالقوارير

وقد كان وصف الرسول ﷺ للنساء بما معناه «رفقاً بالقوارير» في غاية البلاغة والدقة.. فقلوب النســاء أكثر عرضة للإنكســار.. كما أثبتت الأبحاث الطبية الحديثه بعد أربعة عشر قرنا من الزمن..

فقد كان «أنجشــة» رضي الله عنه يحدو للإبل التــي كانت تحمل أمهات المؤمنين.. وكان حسن الصوت.. فأسرعت الإبل في السير.. فخاف النبي ﷺ عليهــن.. فعن أنس بن مالــك رضي الله عنه «أنَّ النبيَّ ﷺ كانَ في سَفَرٍ، وكانَ غُلَامٌ يَحْدُو بهِنَّ يُقَالُ له أنْجَشَةُ، فَقالَ النبيُّ ﷺ: «رُوَيْدَكَ يا أنْجَشَةُ سَوْقَكَ بالقَوَارِيرِ» قالَ أبو قِلَابَةَ: يَعْنِي النِّسَاءَ.. وفي رواية: «رُوَيْدَكَ يا أنْجَشَةُ، لا تَكْسِرِ القَوَارِيرَ»[٢].

فالنســاء غالباً يتأثّرن بالكلمات أبلغ التأثير.. وقد ينسى الرجال بعض الكلمات بسرعة.. أما النساء فقد لا ينسين طوال العمر!

---

(١) Mayo Clin Proc Innov Qual Outcomes, 2020 Dec; 4 (6): 775-785.

(٢) رواه البخاري.

لذلك فقد أوصى النبي ﷺ الرجالَ أن يستوصوا بالنساء خيراً» «اسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا، فإنَّهُنَّ خُلِقْنَ مِن ضِلَعٍ، وإنَّ أعْوَجَ شيءٍ في الضِّلَعِ أعْلاهُ، فإنْ ذَهَبْتَ تُقِيمُهُ كَسَرْتَهُ، وإنْ تَرَكْتَهُ لَمْ يَزَلْ أعْوَجَ، فاسْتَوْصُوا بالنِّساءِ خَيْرًا»[1].

فإن كان الرجل رحيماً بزوجته.. فأحسن إليها.. فإنها ستتآلف إليه.. وتبادله العطف والمودة... ثم ينعكس آثار ذلك على الأبناء.

بناتك وأخواتك

جبر الخواطر هو إحساسك بكل مَنْ حولك.. وأولهم أمك وأبوك.. ثم بناتك وأخواتك.. بكلمة حلوة تسعدهم.. بوقوفك جنبهم في كل حين!!

يقول الألوسي في تفسيره «روح المعاني»: (المعهود من ذوي المروءة جبر قلوب النساءِ لضعفهن.. ولذا **يندب للرجل إذا أعطى شيئاً لولده أن يبدأ بأنثاهم**)[2].

وكان سيدنا رسول الله ﷺ القدوة في الأدب مع البنات القريبات منه والبعيدات في النسب عنه.. فقد كان يصلي أحيانًا وهو حامل أمامة بنت زينب بنت رسول الله ﷺ.. فإذا سجد وضعها وإذا قام حملها»[3].

---

(١) أخرجه البخاري واللفظ له، ومسلم.

(٢) روح المعاني للألوسي: (٨/٣٦).

(٣) رواه البخاري ومسلم.

وترَكَ البنتَ الصغيرة التي تُدْعى أم خالد تلعب بخاتم النبوة!..

قالت أم خالد أمة بنت خالد بن سعيد: «أَتَيْتُ رَسولَ اللهِ ﷺ مع أبِي وعَلَيَّ قَمِيصٌ أصْفَرُ، قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: سَنَهْ سَنَهْ قَالَ عبدُ اللهِ: وهي بالحَبَشِيَّةِ: حَسَنَةٌ..

قَالَتْ: فَذَهَبْتُ أَلْعَبُ بخَاتَمِ النُّبُوَّةِ فَزَبَرَنِي أَبِي..

قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «دَعْهَا» (اتركها) ثُمَّ قَالَ رَسولُ اللهِ ﷺ: «أَبْلِي وأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وأَخْلِقِي، ثُمَّ أَبْلِي وأَخْلِقِي» (أي الْبَسِي إلى أن يَصِيرَ خَلَقًا بَالِيًا)[١].

يقول الشيخ الدكتور محمد لطفي الصباغ:

«ومن فضل الله عليَّ أن رزقني بست بنات.. وإنني لأرجو أن يشملني ما ذكر رسول الله ﷺ من الإكرام لمن يكون له بنتان أو أكثر فأحسَنَ إليهن فكُنَّ له سترًا من النار.. وكنت أسعد بالجلوس إليهن وهن صغيرات..

لقد كنَّ مصدر سرور لي لا حدَّ له.. وقد كانت إحداهن متعلقة بي لا تريد مفارقتي.. فكنت أذهب بها إلى درسي الأسبوعي في البيت الذي كنت أشرح فيه صحيح البخاري.. فكنتُ أُلقي الدرس وهي في حضني لا تريد مفارقتي!

(١) رواه البخاري.

ومن الطريف أنني كنت جالسًا مرة أداعب بنتي الصغرى وهي جالسة في حجري.. فجاءت أختها التي هي أكبر منها.. وصفعتني على وجهي صفعة قوية وقالت: تضع هذه عندك وتنساني!

فلم أُعاقبها ولم أَلُمْها.. ولكنني قلت لها: تعالي فاجلسي إلى جانبها.. وسررتُ بذلك سرورًا كبيرًا..

ويقول الدكتور محمد الطرايرة: «والأب المُوفَّق بوجود البنات في حياته.. يدخل جنة من جنان الأرض..

بما يجده من رعاية بناته له واهتمامهن به..

وبما يجده من قلب واسع يصبر عليه في جميع أحواله..

ويراقب حركاته وسكناته ليظفر بخدمته والاقتراب من قلبه.

وفي لحظة ما.. يجد الأبُ نفسه غير قادر على مفارقة هذا الحنان يوماً واحداً..

ويجد أعظمَ دواء لآلامه وتعبه.. تلك الابتسامة التي تلاقيه ابنته بها.. وهي تقف على الباب تنتظره.. أو على الشباك تنادي على اسمه..

ويجد نفسه محتاجا لرسالتها الصباحية.. ولهديتها المُفْرحة.. ولفخرها بأبيها وإن كان يعرف في قرارة نفسه أنه قصَّر معها كثيراً..

صحيح أن البنات قد يشكين كثيراً.. وأن تقلب المزاج عندهن متعب أحيانا.. وأن طلباتهن وأحلامهن لا تكاد تنقطع دقيقة..

لكن هذا ليس من سيئاتهن.. بل هو سِرٌّ أودعه اللهُ فيهن.. ليزداد تربعهن في قلوبنا.

وهو مفتاح ليـزداد بذلُنـا وعطاؤنـا لهن.. ولئـلا نتوقف عن استرضائهن.. وتبديل حزنهن إلى فرح.. وخوفهن إلى أمان.

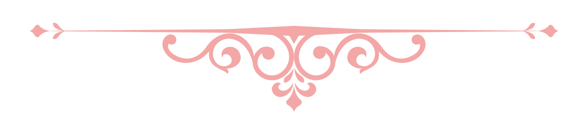
وأخيراً.. كل ما قلتُه عن الأب ينصرف إلى الأخ..

فاللهم أكرمنا بخدمة بناتنا وأخواتنا.. واجعلنا ممن استعملْتَه في جبر خواطرهن..[1]

❋ ❋ ❋

(١) د. محمد الطرايرة: حاجة الأب والأخ إلى حنان البنت والأخت. (بتصرف)

لا تدسْ على جرح أحد



عندما تعجز الروح عن البكاء والصراخ..

لتعبّرَ عن ألمٍ في ثنايا الضلوع..

عندما تفوق الآهاتُ.. طاقات النفوس..

هنا يأتي دور القلم ليبدأ في ترجمة الألم..

ينزف حبرهُ من قلبٍ مملوءٍ بخلجات وأنّات..

تمسك به يدٌ.. ترتجف بالأحزان..

لا تعرف!..

أتكتبْ؟..

أتفجّر ما بداخلها على الورق؟..

أم تكتمهُ.. فيتفجّرُ بين الضلوع؟!..

قلمٌ يكتب ألماً وحزناً..

ومهما كتب.. سيظلُّ في القلب جرحٌ ينزف..

لا يعلمه أحدٌ إلا الله..

فيَعجزُ القلمُ عن التعبير..[1]

لا تخسر إنساناً أحبك بصدق..

ولا تكسر خاطر مَنْ صرتَ لقلبه مسكناً ومأوىً..

لا تدس على جرح أحد من الناس..

وكن في الحزن حُضْناً مواسياً..

مثلما كنتَ في الفرح قمراً ساطعاً..

فماذا تفعل المحبة.. إن لم تقترن برحمة؟..

لا تكسر أبداً كلّ الجسور مع مَنْ تحب..

فربّما شاءت الأقدار لقاء آخر يعيد ما مضى.. ويصل ما انقطع..

فإذا كان العمر الجميل قد رحل.. فمن يدري؟..

ربّما ينتظرك عمرٌ أجمل!..

لا تدخل حياة مَن لا يريدك..

ولا تفرض نفسك على مَن يرفضك..

فمن أرادك.. سيفعل كل شيء ليكسب ودك..

---

(١) د. علا الإسلام: جبر الخواطر عبادة إيمانية وخلق نبيل. (بتصرف)

يقول أحدهم: أوهمتُك بأني راحلٌ.. فراقبْتُك عن كثب..

رأيتُك بخير.. ولم تشْتكِ لوعة الفقدان..

فقرّرتُ الرحيلَ لتبقى بخير وسلام!.

إذا قرّرتَ يوماً أن تترك حبيباً في شرع الله.. فلا تترك له جرحاً..

فمن أعطاك قلبه.. لا يستحقّ أن تغرس فيه شوكة..

أو تتركه ولو للحظة يتألم..

وما أجمل أن تبقى بينكم لحظات الزّمن الجميل!

فأنْ ترى الدموع في وجوه من كنت لا تراهم إلّا متبسّمين..

فهذا ألمٌ عميق.

لا تندم على حياة عشْتها.. حتّى ولو صارت ذكرى تؤلمك..

فإذا كانت الزّهور قد جفّت وضاع أريج عبيرها..

ولم يبق منها غير الأشواك..

فلا تنس أنّها منحتْك عطراً جميلاً..

أسْعدتْك في يوم من الأيام!.

فإذا كان الأمس قد ضاع.. فبين يديك اليوم!..

وإذا كان اليوم سوف يجمع أوراقه ويرحل..



فلديك غدٌ مشرقٌ بالتفاؤل والأمل..

فلا تحزن على الأمس.. فهو لن يعود..

ولا تأسف على اليوم.. فهو بلا شك راحل..

وأنْ يطعنك أحدهم في ظهرك فهذا أمر محتمل..

ولكن أنْ تلتفت وتجده أقــرب الناس إليك.. فهنــاك المصيبة الكبرى!..

وأدنى الناس هو من يعطيك ظهره.. وأنت في أمسّ الحاجة إلى قبضة يده.!

لا تؤذ قلباً لم تر منه إلا كل جميل.. ولا تعبثوا بقلوب أحبتكم في الله..

لا تخطفوا أحلامهم.. وترحلوا بجراح غائرة.. وذكريات قاتمة..

إذا تعبتَ وســط الطريق فأعلم أنّ طبع الوفــاء.. أحن من مرارة الجفاء على قلوب المخلصين..

وكن نسمة لطيفة عابرة في سوانح الحياة..

لا تؤذ بشراً ولا حجراً..

وكن بلسماً يمر على الجروح بسلام..[1]

---

(١) د. نيرمين البورنو: العبادة المهجورة. (بتصرف)

فقد يرى البعضُ تحطيمَ الخاطر شيئاً هيناً..

بعد أن كنتَ لهم يوماً ترياقاً لأرواح منكسـرة.. وإكسيراً لقلوبٍ متعبة..

غير آبهين لحجم الخراب الذي أحدثوه بداخلك..

لكنه أمرٌ عظيم.. بظلال دمارٍ.. وشظايا انكسار..

فمـن الناس من فطـروا قلوباً كانـت في سـابق العهد جبرهم الوحيد..

اتخذوا من قلوب الطيبين أقماراً مبددة لعتمة أيامهم..

وانجلاء لضباب أنفسٍ كادت تغرق في دوامات اليأس والقنوط..

وعندما استشعروا جبر الخواطر.. كَسَرُوها كأنهم ألد الخِصام...[(١)]



(١) أ. بشرى بوغلال: جبر الخواطر لمسات حانية، عالم الثقافة. (بتصرف)

جبر الخواطر في القرآن



آياتٌ كثيرةٌ في القرآن دلّت على جَبْرِ خَاطِرِ المُنكسِرِ قَلْبُهُ.. وتنوعت أصناف الخواطر المنكسرة في القرآن الكريم.. واندرجت في العديد من الحالات ومنها:

السائلُ.. سواء كان السائل سائل عِلم أم مال.. وغير الوارثين الذين يحضرون تقسيم الميراث..

وذوو الاحتياجات الخاصة.. واليتامى.. والفقراء.. وأهل القتيل..

والأنبياء عَلَيْهِمُ السَّلَامُ.. والنساء.. والمنفقون.. والتائبون..

والذين يُفسحون في المجالس.. والسفهاء.. وذوو الشهداء.

مَنْ جُبِرَ خاطرهم في القرآن؟

١ ـ جبر خاطر السائل: فقد ورد في القرآن الكريم في موضعين وهما:

قوله تعالى: ﴿قَوْلٌ مَّعْرُوفٌ وَمَغْفِرَةٌ خَيْرٌ مِّن صَدَقَةٍ يَتْبَعُهَآ أَذًى ۗ وَٱللَّهُ غَنِيٌّ حَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٣]. أي أن تقول للسائل كلاماً جميلاً طيّباً تجبر به خاطره.. ويحفظ له كرامته.

«ومغفرة» يعني: وستْرٌ منه عليه لمَا عُلِمَ من خَلّته وسوء حالته[1].

والثاني: قوله تعالى ﴿وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنْهَرْ﴾ [الضحى: ١٠].

والسائل هنا يشمل سائل العِلم والمال..

٢ ـ جبر خاطر غير الورثة: قال تعالى: ﴿وَإِذَا حَضَرَ ٱلْقِسْمَةَ أُوْلُواْ ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَٰمَىٰ وَٱلْمَسَٰكِينُ فَٱرْزُقُوهُم مِّنْهُ وَقُولُواْ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٨].. فإنّ أنفسهم تتوق إلى شيء من هذا المال.. يروْن هذا يأخذ.. وهذا يأخذ.. ولا شيء يُعطَوْن.. فأمَر الله تعالى أن يُعطوْا شيئاً يكون إحساناً إليهم.. وجبراً لكسرهم..

٣ ـ ذوي الاحتياجات الخاصة: فقد عاتَب الله نبيه محمدًا ﷺ.. لأنه أعرض عن ابن أمِّ مكتوم.. وكان أعمى.. عندما جاءه قائلًا: عَلِّمني ممَّا علَّمَكَ الله.. ﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝ أَن جَآءَهُ ٱلْأَعْمَىٰ ۝ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكْرَىٰٓ﴾ [عبس: ١ ـ ٤].

قال القرطبي في تفسيره: «فعاتبه الله على ذلك.. لكيلا تنكسِر قلوب أهل الإيمان»[2].

٤ ـ اليتامى: فالله تعالى يقول: ﴿فَأَمَّا ٱلْيَتِيمَ فَلَا تَقْهَرْ﴾ [الضحى: ٩].

---

(١) تفسير الطبري: (١٠/١٧٢).

(٢) تفسير القرطبي (٢٠/٢١٣).

٥ ـ **الفقـراء**: يقـول تعالـى: ﴿إِن تُبْدُوا۟ ٱلصَّدَقَٰتِ فَنِعِمَّا هِىَ ۖ وَإِن تُخْفُوهَا وَتُؤْتُوهَا ٱلْفُقَرَآءَ فَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ وَيُكَفِّرُ عَنكُم مِّن سَيِّـَٔاتِكُمْ ۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾ [البقـرة: ٢٧١].. فإعطاؤها للفقيـر في خفية خير للمنفق من إظهارها وإعلانها.. لما فيه من الستر عليه.. وعدم تخجيله بين الناس..

وممن تشتد الحاجة إلى جبر خواطرهم عوائل الأسرى.. وذلك بتفقد ذرّيتهم وكفالتهم.. وكذلك اللاجئون المغتربون عن أوطانهم.. وذوو الشـهداء أيضاً.. فإنّ جبر خواطرهم له أثـر كبير في تخفيف معاناتهم.. وتثبيت نفوسهم في مواجهة الشدائد[1].

٦ ـ **أهل القتيل**: قال تعالى: ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ أَن يَقْتُلَ مُؤْمِنًا إِلَّا خَطَـًٔا ۚ وَمَن قَتَلَ مُؤْمِنًا خَطَـًٔا فَتَحْرِيرُ رَقَبَةٍ مُّؤْمِنَةٍ وَدِيَةٌ مُّسَلَّمَةٌ إِلَىٰٓ أَهْلِهِۦٓ إِلَّآ أَن يَصَّدَّقُوا۟﴾ [النسـاء: ٩٢]. وإنما وُجدت الديّة تطييباً لقلوب أهل القتيل.. حتى لا تقع عداوة ولا بغضاء بينهم وبين القاتل.. وتعويضاً عما يفوتهم من المنفعة بقتله[2].

٧ ـ الأنبيـاء عليهم السلام: وقدْ ذكـرَ الله جَبْـرَهُ لقلـوبِ أنْبيائِهِ أوقات الشّـدائِد.. وإجَابَتِهِ لدعائهم عند الضّروراتْ.. وأمرَ عبـادهُ بانتظارِ الفرجِ وقت الأزَمات.

---

(١) أ. حمزة عبد الله شواهنة: جبر الخواطر في ضوء القرآن الكريم (دراسة)..
(٢) تفسير المراغي ١٢١/٥.

فقد جبر الله تعالـــى في القـــرآن الكريم خواطر أحد عشـــر من الأنبياء عليهم السلام بأســـمائهم صراحة وهم: آدم، ونوح، ولوط، وإبراهيم، ويعقوب، ويوســـف، وأيـــوب، ويونس، وموســـى، وداود، ومحمد عليهم الصلاة والسلام.

٨ ـ **جبر قلوب النساءِ:** وجبر الله تعالى خواطر النساء في القرآن الكريم في صور كثيرة: في تقديم النساء في الذِّكر.. وإيجاب نصف المهر قبل الدخـــول.. وجبر خاطـــر المعتدة الرجعية بالإســـكان.. وإيجاب المتعة للمطلّقة.. والوصية لأهل الميت بإبقاء زوجة ميّتهم عندهم حولاً كاملاً...[1]

أ ـ تقديم الإناث في الذِّكر:

قال الله تعالـــى: ﴿ لِّلَّهِ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۚ يَهَبُ لِمَن يَشَآءُ إِنَٰثًا وَيَهَبُ لِمَن يَشَآءُ ٱلذُّكُورَ ۝ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ۖ وَيَجْعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا ۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴾ [الشورى: ٤٩ ـ ٥٠].

وقد بُدئ في هذه الآية بذكر الإناث.. لجبرهن.. وتطييباً لقلوب آبائهن.[2]..

قال ابن القيم: «وتأمل كيف نكّر ســـبحانه الإنـــاث فقال (إناثاً)

(١) أ. حمزة عبد الله شواهنة: جبر الخواطر في ضوء القرآن الكريم (دراسة)..
(٢) القِنَّوجي: فتح البيان، (٣١٩/١٢).

وعَرّف الذكور.. فجبَرَ نقص الأنوثــة بالتقديم.. وجبر نقص التأخير للذكور بالتعريف»[1].

ب ـ إيجاب نصف المهر قبل الدخول:

قال الله تعالى: ﴿ وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ ﴾ [البقـرة: ٢٣٧]. «والحكمــة في إيجاب نصف المهر قبل الدخول جبر وحشة الطلاق.. والتعويض عما لحق المرأة من أذى.. فيكون ذلك سبيلاً لرفع معنويات المرأة المطلَّقة..»[2].

ج ـ جبر خاطر المعتدة الرجعية بالإسكان:

فالله تعالى يقــول: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا۟ ٱلْعِدَّةَ ۖ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ رَبَّكُمْ ۖ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِنۢ بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّآ أَن يَأْتِينَ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ ۚ وَتِلْكَ حُدُودُ ٱللَّهِ ﴾ [الطلاق: ١].

والإسكان فيه جبر لخاطرها.. ورِفقٌ بها..

د ـ الوصية لأهل الميت بإبقاء زوجة ميّتهم عندهم حولاً:

فمَنْ ماتَ زَوْجُها عَنْها.. فإنَّ مِن تَمــام جَبْرِ خاطِرِها.. أنْ تَمكُثَ عِندَ أهلِهِ سَنَةً كامِلة.. جبراً لخاطرها.. وبرّاً بميّتهم.. قال الله تعالى:

---

(١) تفسير القرآن الكريم (التفسير القيم): (ص ٤٦٩).

(٢) أ. د. وهبة الزحيلي: التفسير المنير (٢/٣٨٦)

﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا وَصِيَّةً لِّأَزْوَٰجِهِم مَّتَٰعًا إِلَى ٱلْحَوْلِ غَيْرَ إِخْرَاجٍ ﴾ [البقرة: ٢٤٠].

هـ ـ إيجاب المتعة للمطلقة:

والمتعة مالٌ يدفعه الرجل لمطلّقته التي فارقها.. وقد تكرر مشروعية تمتيع المطلقات في ثلاثة مواضع من القرآن الكريم وهي: قوله تعالى: ﴿ وَلِلْمُطَلَّقَٰتِ مَتَٰعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُتَّقِينَ ﴾ [البقرة: ٢٤١]. وقوله تعالى: ﴿ لَّا جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن طَلَّقْتُمُ ٱلنِّسَآءَ مَا لَمْ تَمَسُّوهُنَّ أَوْ تَفْرِضُوا۟ لَهُنَّ فَرِيضَةً ۚ وَمَتِّعُوهُنَّ عَلَى ٱلْمُوسِعِ قَدَرُهُۥ وَعَلَى ٱلْمُقْتِرِ قَدَرُهُۥ مَتَٰعًۢا بِٱلْمَعْرُوفِ ۖ حَقًّا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ ﴾ [البقرة: ٢٣٦]. وقوله تعالى: ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ إِذَا نَكَحْتُمُ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ ثُمَّ طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ فَمَا لَكُمْ عَلَيْهِنَّ مِنْ عِدَّةٍ تَعْتَدُّونَهَا ۖ فَمَتِّعُوهُنَّ وَسَرِّحُوهُنَّ سَرَاحًا جَمِيلًا ﴾ [الأحزاب: ٤٩].

والحكمة في إيجاب المتعة للمطلقة جبر قسوة الطلاق.. وتطييب قلوب المطلقات.. استبقاء للمودة.

انظر إلى مراعاة الإسلام لمشاعر النساء.. فإنّ المرأة صاحبة حسّ مرهف.. فلا عجب من عناية الإسلام لنفسيتها.. ثُم تشريع الأحكام المناسبة.. ولا شك أنّ إهمال الزوج لمشاعر زوجته سببٌ كبير للمشاكل الزوجية..

ولهذا جاءَ في الحديثِ «أَبْغَضُ الْحَلَالِ إِلَى اللهِ الطَّلَاقُ»..

فلا يَنْبَغي للرجلِ أنْ يَلْجأ للطلاقِ إلّا عِندَ أشدِّ الأحوال.. وعندَ تَعذّر الاستمرار على الحياة الزّوجية..

أمّا التسرُّعُ في الطّلاقِ كما يَفْعلهُ بعض النّاس..

يَتّخذُ الطّلاقَ كأنّهُ عَصاً في يَدهِ..

يَضربُ بِهِ المرأةَ إذا خالفتْهُ في أيّ شيءٍ..

فَيضرُّ نَفْسهُ ويَضرُّ زَوجتهُ..

ويَضرُّ أسْرَته وأولاده..

يُطلِّقُ وهو غَضْبانْ.. ويُطلِّقُ لأتفهِ الأسباب.. فهذا حُمْقٌ وجَهل[1].

٩ ـ **المنفقون**: جبر الله تعالى خاطـر المنفقين في القرآن الكريم فقال تعالــى: ﴿لَا يَسْتَوِي مِنكُم مَّنْ أَنفَقَ مِن قَبْلِ الْفَتْحِ وَقَاتَلَ أُولَٰئِكَ أَعْظَمُ دَرَجَةً مِّنَ الَّذِينَ أَنفَقُوا مِن بَعْدُ وَقَاتَلُوا وَكُلًّا وَعَدَ اللَّهُ الْحُسْنَىٰ﴾ [الحديد: ١٠]

٩ ـ **السفهاء**: فالله تعالى يقول: ﴿وَلَا تُؤْتُوا السُّفَهَاءَ أَمْوَالَكُمُ الَّتِي جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ قِيَامًا وَارْزُقُوهُمْ فِيهَا وَاكْسُوهُمْ وَقُولُوا لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا﴾ [النساء: ٥].

١٠ ـ **الذين يفسحون لإخوانهم في المجالس**: قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا قِيلَ لَكُمْ تَفَسَّحُوا فِي الْمَجَالِسِ فَافْسَحُوا يَفْسَحِ اللَّهُ لَكُمْ﴾ [المجادلة: ١١].

---

(١) شرح كتاب (القواعد الحِسان في تفسير القرآن) الدّرس الحادي والأربعون.

ففيه تطييب لخاطر الذين أُقيموا من المجلس.. وتعليمٌ للأمّة بواجب مراعاة أصحاب الفضل منها..[1]

سورة آل عمران سورة «جبر الخواطر»

جبر الخواطر في سورة آل عمران ليس بكلماتِ ترضيةٍ ومواساة.. بل تفعل ذلك عبر تزويد خاطرك المكسور «بجبيرة وعي».. تُخرجك من لحظة الإنكسار الراهنة إلى «الصورة الكبيرة» التي قد تغيب عن أذهاننا لحظة ألمِ الانكسار..

تقول لك السورة: أن الفصول تتغير.. والدوائر تدور.. وأن ما يبدو منتصراً عزيزاً في مرحلة ما قد ينتهي خاسراً ذليلاً في نهاية المطاف...

ستنبّهكَ إلى دوران العالم بين الناس.. «مَالِكَ الْمُلْكِ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَن تَشَاءُ وَتَنزِعُ الْمُلْكَ مِمَّن تَشَاءُ وَتُعِزُّ مَن تَشَاءُ وَتُذِلُّ مَن تَشَاءُ».. فلا تغتر كثيرا بعزك فهو عابر.. ولا يحزنك عزهم فهو عابر كذلك.. لا شيء يدوم من هذه الأمور...

ستعرّفك السورة على أسرة بسيطة فقيرة.. وامرأة تنذر طفلها القادم بعد طول انتظار.. ثم تبدو الأمور صعبة لها عندما يأتي الطفل أنثى... فليس الذكر كالأنثى... لكن جبر الخواطر يأخذ هذه الأنثى إلى مكانة غير مسبوقة بين العالمين...

---

(١) أ. حمزة عبد الله شواهنة: جبر الخواطر في ضوء القرآن الكريم (دراسة)..

وتأخذك السورة إلى شـيخٍ (زكريا عليه السلام).. يكاد يفقد الأمل في صبي له... لكن جبر الخواطر يحقق ما بدا له مستحيلاً...

تأخذك الســورة إلى مريم عليها السلام.. وقد فهمتْ أنها ستلد من غير زواج ومن غير أن يمسَّـها بشـر... أيُّ كدرٍ وانكسـار هـذا الذي سيحدث معها... لكن جبر الخواطر يقودها إلى طريق آخر مختلف تماماً..

وقد يكسـر خاطرك أن ترى «أهـل الكتاب» يلبسـون الحق بالباطل ويكتمون الحق وهم يعلمون.. ولكن هذا يجب أن يذكّرك أنه خطرٌ محدق حتى بك.. بكل من يزعم أنه يحمل «الكتاب»!.. فكل الطرق التي ضلّوا عبرها هي طرق يمكن أن تضل أنت عبرها أيضا...

لذلك فخاطـرك لا يُجبر بأن تـرى «نهاياتهم».. بـل بأن تعي أخطاءهم التي يمكن أن تقودك أيضا إلى نفس النهايات!..

في عز انكسارك سيقول لك أنك من خير أمة... لكن لن يتركك تستعمل ذلك كأفيون يخدرك عن واقعك!.. بل سيجعله جبيرة وعي: الأمر مشروط.. فهل أديت شروطه؟

تأخذك الســورة إلى أعلى لحظات عزك ـ إلى النصر في بدر ـ فيريك ما جعلك النصر تنساه... ويقول لك لقد كنت ذليلا، كسيرا.. لكن سـارت الأمور إلى عاقبـة أخرى مختلفة تمامـا.. جبر النصر كسرك...

وتأخذك السـورة إلى كسـر كبير.. إلى يوم أحد... فتربت على كتفيك كما لو أنـك كنت هناك.. إنه حال الدنيـا.. تتغير الفصول.. تلك الأيام نداولها بين الناس..

في حياة كل منا يوم بدر... وفي حياة كل منا يوم أحد... وجبل تم تحذيرنا منه... وطعنة مؤلمة في الظهر... وهزيمة موجعة مفجعة.. وخواطر مكسورة...

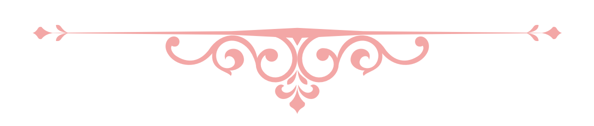
ولكن.. هناك أيضا سـورة آل عمران... تأتيك لتجبر كسـرك.. وتطيب جرحك.. وتمسح دمعتك..

وتنتهي السـورة بخطة بسـيطة للخـروج من كسـر الخاطرَ[1]: ﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴾ [آل عمران: ٢٠٠].

***

(١) من كتاب «القرآن نسخة شخصية» للدكتور أحمد العمري. (بتصرف)

الله يجبر خاطر الحبيب ﷺ



الله أنزل على حبيبه المصطفى القرآن.. وجعله وسيلة لتحرير الناس من ظلمات الضلال إلى نور الحق ومعرفة الله.. قال تعالى: ﴿الٓر كِتَٰبٌ أَنزَلۡنَٰهُ إِلَيۡكَ لِتُخۡرِجَ ٱلنَّاسَ مِنَ ٱلظُّلُمَٰتِ إِلَى ٱلنُّورِ بِإِذۡنِ رَبِّهِمۡ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَمِيدِ﴾ [إبراهيم: ١].

وجبر بخاطره ونهاه عن التحسر على من كفر بالله: ﴿فَلَا تَذۡهَبۡ نَفۡسُكَ عَلَيۡهِمۡ حَسَرَٰتٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمُۢ بِمَا يَصۡنَعُونَ﴾ [فاطر: ٨].. أي فلا تُهلك نفسك حزنًا على كفر هؤلاء الضالين..

والله يجبر بخاطر نبيه يواسيه: ﴿وَلَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِۚ إِنَّهُمۡ لَن يَضُرُّواْ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ يُرِيدُ ٱللَّهُ أَلَّا يَجۡعَلَ لَهُمۡ حَظّٗا فِي ٱلۡأٓخِرَةِۖ وَلَهُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٧٦].. فلا تهتم بهم ولا تحزن عليهم..

وعن عبدالله بن عمرو أنَّ النبيَّ ﷺ تَلا قَوْلَ اللهِ ﷻ في إبْراهِيمَ: ﴿رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضۡلَلۡنَ كَثِيرٗا مِّنَ ٱلنَّاسِۖ فَمَن تَبِعَنِي فَإِنَّهُۥ مِنِّي﴾ [إبراهيم: ٣٦] الآيَةَ، وقالَ عِيسَى عليه السلام: ﴿إِن تُعَذِّبۡهُمۡ فَإِنَّهُمۡ عِبَادُكَۖ وَإِن تَغۡفِرۡ لَهُمۡ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾ [المائدة: ١١٨]، فَرَفَعَ يَدَيْهِ وقالَ: **اللَّهُمَّ أُمَّتي أُمَّتِي**، وبَكَى،

فقالَ اللهُ ﷻ: يا جِبْرِيـلُ اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، ورَبُّكَ أعْلَمُ، فَسَلْهُ ما يُبْكِيكَ؟؟

فأتـاهُ جِبْرِيلُ عليه السلام، فَسَـأَلَهُ فأخْبَرَهُ رَسـولُ اللهِ ﷺ بما قالَ، وهو أعْلَمُ، فقالَ اللهُ: يا جِبْرِيلُ، اذْهَبْ إلى مُحَمَّدٍ، فَقُلْ: **إنَّا سَنُرْضِيكَ في أُمَّتِكَ، ولا نَسُوءُكَ**»[1]..

ولما **أُخرِجَ رسـول الله ﷺ من موطنه مكة**.. وهـي أحب البقاع إليه.. وقفَ قبلَ خُروجِه علـى موضع يقال له الحَـزْوَرَةِ.. وهو تَلّ مُرتفع يُطِلُّ على الكعبةِ فَقَالَ: «مَا أَطْيَبَكِ مِنْ بَلَدٍ، وَأَحَبَّكِ إِلَيَّ، وَلَوْلَا أَنَّ قَوْمِي أَخْرَجُونِي مِنْكِ مَا سَكَنْتُ غَيْرَكِ، وَاللهِ إِنَّكِ لَخَيْرُ أَرْضِ اللهِ، وَأَحَبُّ أَرْضِ اللهِ إِلَى اللهِ، وَلَوْلَا أَنِّي أُخْرِجْتُ مِنْكِ مَا خَرَجْتُ»[2]..

فجبر الله تعالى خاطره.. وأوحى إليه وهو في طريقه إلى المدينة، ﴿إِنَّ ٱلَّذِى فَرَضَ عَلَيْكَ ٱلْقُرْءَانَ لَرَآدُّكَ إِلَىٰ مَعَادٍ﴾ [القصص: ٨٥]، أي: إن الذي أنزل عليك القرآن، وأمرك بتبليغه.. لرادك إلى الموضع الذي خرجتَ منه.. عزيزاً فاتحاً منتصراً..

ولقد صدق الله وعده.. ونصر عبـده.. فعاد ﷺ إلى مكة.. عزيزاً منتصراً.. ووعده سـبحانه بـأن يعطيه حتى يرضيـه[3]، ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾.

---

(١) رواه مسلم.

(٢) صحيح الترمذي: ٣٩٢٥.

(٣) د. ماهر بن حمد المعيقلي: جبر الخواطر، خطبة الجمعة، ١١ ربيع الأول ١٤٤١هـ.

ورحلة الإسراء والمعراج نفسها كانت تسرية عنه.. وترطيباً لقلبه.. وعندما لاقى الرسول ﷺ الصدود من أهل الطائف قدَّر الله له من يجبر بخاطره.. وفي ذلك يقول صاحب «فقه السيرة النبوية»: «إنها الاستجابة الربانية بالتو واللحظة.. أن يسوق من شمال العراق من نينوى من يؤمن بالله ورسوله.. في حين كان الصد من أقرب الناس إليه.. وهو أول دليل يجبر الخاطر الكسير للرسول عليه الصلاة والسلام.. إنه ليس في غضب الله وفي سخطه.. إنه في رضوانه.. وفي حبه.. فإذا كان الصد قد وقع.. فهذا الإيمان قد وقع كذلك»[1].

ما بعد الطائف

وعن عائشة رضي الله عنها أنَّها قالَتْ للنبيِّ ﷺ: هلْ أتَى عَلَيْكَ يَوْمٌ كانَ أشَدَّ مِن يَومِ أُحُدٍ، قالَ: لقَدْ لَقِيتُ مِن قَوْمِكِ ما لَقِيتُ، وكانَ أشَدَّ ما لَقِيتُ منهمْ يَومَ العَقَبَةِ، إذْ عَرَضْتُ نَفْسِي علَى ابْنِ عبدِ ياليلَ بنِ عبدِ كُلالٍ، فَلَمْ يُجِبْنِي إلى ما أرَدْتُ، فانْطَلَقْتُ وأنا مَهْمُومٌ علَى وجْهِي، فَلَمْ أسْتَفِقْ إلَّا وأنا بقَرْنِ الثَّعالِبِ فَرَفَعْتُ رَأْسِي، فإذا أنا بسَحابَةٍ قدْ أظَلَّتْنِي، فَنَظَرْتُ فإذا فيها جِبْرِيلُ، فَنادانِي فقالَ: إنَّ اللَّهَ قدْ سَمِعَ قَوْلَ قَوْمِكَ لَكَ، وما رَدُّوا عَلَيْكَ، وقدْ بَعَثَ إلَيْكَ مَلَكَ الجِبالِ لِتَأْمُرَهُ بما شِئْتَ فيهم، فَنادانِي مَلَكُ الجِبالِ فَسَلَّمَ عَلَيَّ، ثُمَّ قالَ: يا مُحَمَّدُ، فقالَ، ذلكَ فِيما شِئْتَ، إنْ شِئْتَ أنْ أُطْبِقَ عليهمُ

---

(١) فقه السيرة النبوية، ص ٢٦١.

الأخْشَبَيْنِ؟ فقالَ النبيُّ ﷺ: بَلْ أرْجُو أنْ يُخْرِجَ اللهُ مِن أصْلابِهِمْ مَن يَعْبُدُ اللهَ وحْدَهُ، لا يُشْرِكُ به شيئًا[1].

والله يجبر بخاطر نبيه **في رجائه تحويل القبلة**.. فاستجاب المولى لرجائه ﷺ.. قال تعالى: ﴿قَدۡ نَرَىٰ تَقَلُّبَ وَجۡهِكَ فِي ٱلسَّمَآءِۖ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبۡلَةٗ تَرۡضَىٰهَاۚ فَوَلِّ وَجۡهَكَ شَطۡرَ ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡحَرَامِۚ وَحَيۡثُ مَا كُنتُمۡ فَوَلُّواْ وُجُوهَكُمۡ شَطۡرَهُۥۗ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ لَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا يَعۡمَلُونَ﴾ [البقرة: ١٤٤].

والله يجبر بخاطر نبيه **في الصلاة عليه** فعن سهل بن سعد الساعدي قال: خرج رسولُ اللهِ ﷺ فإذا بأبي طلحةَ، فقام إليه فتلقَّاه، فقال: بأبي أنت وأمِّي يا رسولَ اللهِ! إنِّي لأرَى السُّرورَ في وجهِك، قال: أجل إنَّه أتاني جبريلُ آنفًا، فقال: يا محمَّدُ من صلَّى عليك مرَّةً ـ أو قال واحدةً ـ كتب اللهُ له بها عشرَ حسناتٍ، ومحا عنه بها عشرَ سيِّئاتٍ، ورفع له بها عشرَ درجاتٍ، وصلَّت عليه الملائكةُ عشرَ مرَّاتٍ)[2].

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلۡأَبۡتَرُ﴾

هذه الآية الثالثة والأخيرة في مخاطبته تعالى ـ لرسوله الكريم ﷺ: ﴿إِنَّآ أَعۡطَيۡنَٰكَ ٱلۡكَوۡثَرَ﴾ [الكوثر: ١].

---

(١) رواه البخاري.

(٢) ابن حجر العسقلاني: القول البديع، حديث حسن.

والكوثر هـو الخير الكثير العام.. ومن هـذا الخير الكثير الذي لا حد له: نهرٌ في الجنة أعطاه الله ـ تعالى ـ لرسوله الكريم..

وسبب نزولها أنه لما مات عبدالله ابن الرسول ﷺ وكان قد مات قبله ابنه القاسـم.. قال العاص بن وائل: صار محمـد أبترَ.. يموت أولاده من الذكور.. فلن يخلد ذكره بموت ولده..

فأنـزل الله ـ تعالى ـ هذه الآية تـرُدُّ مقولةَ هـذا الكافر، وتؤكد بأسلوب بلاغي حكيم أن الأبتر هو مَن يُبْغض الرسول ﷺ(١).

قال أهل اللغة:

والشانئ: هو المبغض لغيره..

---

(١) ذكر المفسرون عددًا من الروايات في سبب نزولها، منها ما ذكره القرطبي وابن كثير رحمة الله عليهما أنها نزلت في العاص بن وائل السهمي.
يقال: إن العاص وقف مع النبي ﷺ يُكلمه، فقال له جمع من صناديد قريش: مع من كنت واقفًا؟ فقال: مع ذلك الأبتر، وكان قد توفي قبل ذلك عبدالله بن رسول الله ﷺ، وكان من خديجة، فأنزل الله جل شأنه: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]؛ أي: المقطوع ذكره من خير الدنيا والآخرة.
وكان العاص بن وائل إذا ذكر رسول الله ﷺ يقول: دعوه، فإنه رجل أبتر لا عقب له، فإذا هلك انقطع ذكره، فأنزل الله هذه السورة.
وقيل أنها نزلت في كعب بن الأشـرف اليهودي: عن ابن عباس قال: قدم كعب بن الأشرف مكة فقالت له قريش: أنت سـيدهم، ألا ترى إلى هذا الصنبور المنبتر من قومه، يزعم أنه خير منا، ونحن أهل الحجيج، وأهل السـدانة وأهل السقاية؟ فقال: أنتم خير منه، قال: فنزلـت: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾، هكـذا رواه البزار، وهو إسناد صحيح. (وأشار أحمد شاكر إلى صحته).

والأبتر من الرجال: الذي لا ولد له.. وكل أمرٍ انقطع من الخيرِ أثرُه فهو أبتر.. والبتر: القطع..

والمعنى أن مبغضك وكارهك ـ أيها الرسول الكريم ـ هو المقطوع عن كل خير.. والمحروم من كل ذكر حسن.

وقبل أن يدافع الله تعالى عن حبيبه ﷺ.. ويرد على أولئك المفترين.. بشَّره ببشارة، فقال: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ [الكوثر: ٣]..

قال الطاهر ابن عاشور رَحِمَهُ ٱللَّهُ تَعَالَىٰ: «مع ما في هذه البشارة العظيمة من الخير الكثير.. فإن فيها أيضًا **تسليةٌ للنبي ﷺ.. وإزالةٌ لما عسى أن يكون في خاطره منْ قولِ مَنْ قال فيه: هو أبتر..** فقوبل معنى الأبتر وهو المنقطع.. بمعنى الكوثر وهو المتناهي في الكثرة.. إبطالًا لقولهم»[1].

ولا يفهم من قوله تعالى: ﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ﴾ أن مُبْغِضُكَ هُوَ مقطوع النسل.. بنفس المعنى الذي لمزوا به النبي ﷺ.. لأنَّ الذين لمزوه بانقطاع ورثته الذكور.. لهم عقبٌ من الذكور.. فالعاص بن وائل الذي حكى أكثر المفسرين أن الآية نزلت فيه.. له عقب.. وابنه الصحابي الجليل عمرو بن العاص.. وابن ابنه الصحابي عبدالله بن عمرو رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُمَا وله عقب..

(١) التحرير والتنوير (٣٠/٥٧٣).

ولكن المراد أنهم مبتورون عن الخيـــر.. مقطوعون عمَّا ينفعهم في الدار الآخرة.. والآية تشملُ كلَّ مبغِضٍ للنبي ﷺ مـات على ذلك من أهل الكفر والزندقة والإلحاد[١].

وفي تفسير الشيخ الشعراوى يقول:

«ولكن الله رد هذه القضية في معايير الجاهلية لكي يقول لهم أنَّ نسب الرسل لا يكون في نسب أصلابهم.. ولا دماء أبنائهم.. ولكن نسبهم في أمتهم والذين يتبعونهم.. ذلك هو النسب المُعترف به عند الله..

فإذا كان هذا هو المعيار فيكون محمد الذي تقولون عنه أنه صار أبتر لا ذرية له.. صار موصولاً بذريـــة عدد من الأبناء فيما لا يكون للبشر أن ينجب مثله.. لأنه ســـوف يكون موصولاً في كل أتباعه.. وسوف يكون كل تابع له بإسمه.. ويدعو بدعوته ويرد الأحكام إلى ما قال وهو في قبره ﷺ ...

وأحد المستشرقين غلب عليه الحق فقال: «إنني أعجب من واحد مثل محمد ما زال يحكم ملايين البشر وهو ميت في قبره».. هذا هو الذكر وهذا هو الوصل الذي لا ينقطع»[٢].

---

(١) د. أحمد خضر حسنين الحسن: إن شانئك هو الأبتر، وأ. د. زيد العيص: إن شانئك هو الأبتر، د. إبراهيم بن محمد الحقيل: سورة الكوثر شبكة الألوكة. (بتصرف)

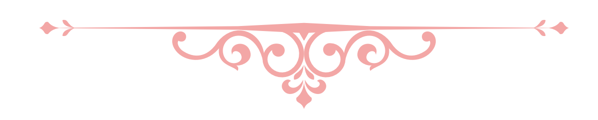
(٢) تفسير الشعراوي.

وقد دلَّت الإحصاءات أن اسم محمد ﷺ هو أكثر الأسماء شيوعًا في العالم الإسلامي.. وأن المتأمل في الأذان.. وفي تباين أوقاته في الكرة الأرضية.. لَيعلمُ علم اليقين أنه لا تمر دقيقة واحدة.. إلا يُذكر فيها اسمُ الرسول ﷺ مقرونًا باسم الله تعالى[1].

***

(١) أ. د. زيد العيص: إن شانئك هو الأبتر. (بتصرف)

الله يجبر خاطرك



ستأتي لحظةٌ يجبر الله فيها خاطرك..

يفرُّ لها قلبك.. فيشفي كلَ كسوره..

يعوضك عمّا كان فاطمئنْ..

لأنَّ عِوَض الله إذا حلَّ.. أنساك ماكنتَ فاقداً..

سيأتيك ما يُنسيك ما أُخذ منك..

وسيرزقك الله ما لم يكن في الحسبان..

إنّ يداً مُدت إلى الله.. لن تعودَ خائبة..

وضرب الله تعالى أروع الأمثلة على جبر الخواطر بالعباد..

فقد جبر خاطرك فأخبرك أنه يغفر ذنوبك جميعاً مهما أسرفت على نفسك إن أخلصتَ في توبتك.. ﴿قُلْ يَـٰعِبَادِىَ ٱلَّذِينَ أَسْرَفُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا۟ مِن رَّحْمَةِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَغْفِرُ ٱلذُّنُوبَ جَمِيعًا ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وقال تعالى: ﴿وَمَن يَعْمَلْ سُوٓءًا أَوْ يَظْلِمْ نَفْسَهُۥ ثُمَّ يَسْتَغْفِرِ ٱللَّهَ يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النساء: ١١٠].

جبر خاطرك **بجعل معصيتك له سيئة واحدة**.. وجعل طاعتك له بعشر حسنات.. بل ويضاعف لمن يشاء..!!

جبر بخاطرك إن حدث لك مكروهٌ ـ مثلما جبر بخاطر المسلمين بعد هزيمة أحد ـ فقال لك: ﴿وَلَا تَهِنُوا۟ وَلَا تَحْزَنُوا۟ وَأَنتُمُ ٱلْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٩] وعلّمك أن تقول ما تُطيِّب به خاطرك وتعلو به في إيمانك: ﴿قُل لَّن يُصِيبَنَآ إِلَّا مَا كَتَبَ ٱللَّهُ لَنَا هُوَ مَوْلَىٰنَا ۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ ٱلْمُؤْمِنُونَ﴾ [التوبة: ٥١].

جبر بخاطرك لمّا **طمْأنك أن الرزق بيده** وحده لا بيد غيره.. فقال لك ﴿وَفِى ٱلسَّمَآءِ رِزْقُكُمْ وَمَا تُوعَدُونَ﴾ [الذاريات: ٢٢].

جبر بخاطرك عندما أعلمك أن **الشفاء هو ملك له** وحده.. فلا تقلق ﴿وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ﴾ [الشعراء: ٨٠].

جبر بخاطرك حينما أعلمك أن **إرادة الضُّر والرحمة فيك ماهي إلا بإذن منه** سبحانه.. حتى تدرك مجريات القدر ﴿إِنْ أَرَادَنِىَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَـٰشِفَـٰتُ ضُرِّهِۦٓ أَوْ أَرَادَنِى بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَـٰتُ رَحْمَتِهِۦ ۚ قُلْ حَسْبِىَ ٱللَّهُ ۖ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ ٱلْمُتَوَكِّلُونَ﴾ [الزمر: ٣٨].

جبر بخاطرك.. لمّا **جبر الأعمال الناقصة** منك برحمة منه وفضل.. بل زادك على عطاءك بعشر أضعافه كرامة منه.. قال تعالى: ﴿مَن جَآءَ بِٱلْحَسَنَةِ فَلَهُۥ عَشْرُ أَمْثَالِهَا ۖ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَىٰٓ إِلَّا مِثْلَهَا وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [الأنعام: ١٦٠]..

بل زادك كرامة بالمضاعفــة فقال لك ﴿وَٱللَّهُ يُضَٰعِفُ لِمَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦١].

وجبَــرَ خاطرَ العبد بأن أوجــد له **ما يجبر به نقصــه وخلله في** علاقته به سبحانه..[1] ففي الحديث: «إنَّ أوَّلَ ما يُحاسَبُ بهِ العبدُ يومَ القيامةِ من عمَلِهِ الصلاةُ، فإنْ صلُحَتْ فقدْ أفلَحَ وأنْجَحَ، وإنْ فسَدَتْ فقدْ خابَ وخَسِــرَ، وإنِ انْتقَصَ من [فَرِيضَتِهِ] قال الربُّ: انظُرُوا هل لعبدِي من تَطُوُّعٍ؟ فيُكْمِلُ بِها ما انْتقَصَ من الفريضةِ، ثمَّ يكونُ سائِرُ عمَلِهِ على ذلِكَ»[2].

ويجبر بخاطر **من فقدوا أهلهم فــي الحرب**: ﴿وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُواْ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًاۢۚ بَلْ أَحْيَآءٌ عِندَ رَبِّهِمْ يُرْزَقُونَ ۞ فَرِحِينَ بِمَآ ءَاتَىٰهُمُ ٱللَّهُ مِن فَضْلِهِۦ وَيَسْتَبْشِرُونَ بِٱلَّذِينَ لَمْ يَلْحَقُواْ بِهِم مِّنْ خَلْفِهِمْ أَلَّا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ ۞ يَسْتَبْشِرُونَ بِنِعْمَةٍ مِّنَ ٱللَّهِ وَفَضْلٍ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [آل عمران: ١٦٩ ـ ١٧١].

وجبــر الله تعالــى بخاطــر المؤمــن حيــن نــزول المــوت.. فلا يخاف ولا يحــزن ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ قَالُواْ رَبُّنَا ٱللَّهُ ثُمَّ ٱسْتَقَٰمُواْ تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ أَلَّا تَخَافُواْ وَلَا تَحْزَنُواْ وَأَبْشِرُواْ بِٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى كُنتُمْ تُوعَدُونَ﴾ [فصلت: ٣٠].

---

(١) أ. خالد عبدالفتاح أبوعوف: رسالة الخاطر في جبر الخواطر. (بتصرف)

(٢) صحيح الجامع: ٢٠٢٠.

جبر بخاطرك بأن جعل يوم القيامة كصلاة ركعتين.. حتى تطمئن ويهدأ روعك.. جاء في الحديث (قِيلَ لِرَسُولِ اللهِ ﷺ: يَوْمًا كَانَ مِقْدَارُهُ خَمْسِينَ أَلْفَ سَنَةٍ، مَا أَطْوَلَ هَذَا الْيَوْمَ؟! فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، إِنَّهُ لَيُخَفَّفُ عَلَى الْمُؤْمِنِ، حَتَّى يَكُونَ أَخَفَّ عَلَيْهِ مِنْ صَلاَةٍ مَكْتُوبَةٍ يُصَلِّيهَا فِي الدُّنْيَا»)[١].

فهل بعد ذلك من جبر للخواطر..!!

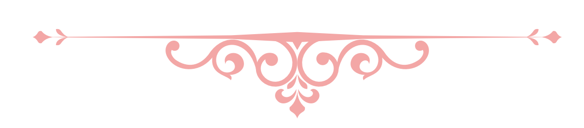
..!![٢]

❋ ❋ ❋

(١) صحيح ابن حبان: ٧٣٣٤.

(٢) أ. خالد عبدالفتاح أبو عوف: رسالة الخاطر في جبر الخواطر. (بتصرف)

الحبيب ﷺ يجبر الخواطر



لم يكن ولن يكون إنسانٌ مثل الحبيب ﷺ في تلك العبادة العظيمة.. وذلك الخلق الرفيع.. ألا وهو جبر الخواطر.. فهو الأسوة الحسنة في كل خلق عظيم..

وتحفل سيرته العظيمة الشريفة بالعديد من المواقف التي تكشف حرصه على جبر خاطر كل من تعامل معه ﷺ .

فقد كان الحبيب ﷺ بالمؤمنين رؤوفاً رحيماً.. يجبر خواطرهم.. ويتفقّد أحوالهم..

يسأل عن غائبهم.. ويعود مريضهم..

وكان لَا يَعِيبُ طَّعَامًا صَنَعَهُ آدَمِيٌّ.. لِئَلَّا يَنْكَسِرَ خَاطِرُهُ..

وإِذَا بَلَغَهُ عَنِ الرَّجُلِ الشَّيْءَ الْمَكْرُوهَ.. لَمْ يُصَرِّحْ بِاسْمِهِ.. وَلَكِنْ يَقُولُ: مَا بَالُ أَقْوَامٍ يَقُولُونَ كَذَا وَكَذَا.. حفاظاً على مشاعره.. وكسباً لودّه..

الحبيب ﷺ يجبر خاطر ابنته:

عنِ ابنِ عبّاسٍ، قال: لمّا نزلت: إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ دعا

رســولُ اللهِ ﷺ فاطمةَ رضي الله عنها فقالَ: إنَّهُ قد نُعيَت إليَّ نفسي فبَكَت، ثمَّ ضحِكت قالَــت: وأخبرني أنَّــهُ نُعيَ إليْهِ نفسُــهُ فبَكيــتُ فقالَ لي: اصبري. فإنَّكِ أوَّلُ أَهلي لاحقًا بي، فضحِكتُ»[١].

الحبيب ﷺ يجبر خاطر زوجاته..

عن أبي هريرة قال: «أَتَى جِبْرِيلُ النبيَّ ﷺ، فَقالَ: يا رَســولَ اللهِ: هذِه خَدِيجَةُ قدْ أتَتْ معهَا إنَاءٌ فيه إدَامٌ، أوْ طَعَامٌ أوْ شَرَابٌ، فَإِذَا هي أتَتْكَ فَاقْرَأْ عَلَيْهَا السَّلَامَ مِن رَبِّهَا ومِنِّي وبَشِّرْهَا ببَيْتٍ في الجَنَّةِ مِن قَصَبٍ (لؤلؤ).. لا صَخَبَ (ازعاج) فِيهِ.. ولَا نَصَبَ (تعب)»[٢].

و«كان النَّبيُّ ﷺ إذا ذكَرَ خَديجةَ أَثْنى عليها، فأحسَــنَ الثناءَ، قالت: فغِرْتُ يومًا، فقُلْتُ: ما أكثرَ ما تذكُرُها حَمراءَ الشِّــدْقِ، قد أبدَلَكَ اللهُ عز وجل بها خيرًا منها، قال: ما أبدَلَني اللهُ عز وجل خَيرًا منها، قد آمَنَتْ بي إذ كفَرَ بي الناسُ، وصدَّقَتْني إذ كذَّبَني الناسُ، وواسَتْني بمالِها إذ حرَمَني الناسُ، ورزَقَنــي اللهُ عز وجل ولَدَها إذ حرَمَني أولادَ النِّساءِ»[٣]..

وخاطب عائشــة رضي الله عنها (يا حميراء)[٤] «لشــدة بياضهــا».. وجبر خاطرها لعدم إنجابها.. وكناها بكنية أخيها «عبد الله»..

(١) دلائل النبوة للبيهقي: ٧/١٦٧.

(٢) رواه البخاري.

(٣) أخرجه البخاري ومسلم بنحوه مختصراً، وأحمد (٢٤٨٦٤) واللفظ له.

(٤) السلسلة الصحيحة: ٣٢٧٧.

فعن عائشة رض أنَّها قالت: يا رسولَ اللهِ ﷺ، كُلُّ صَواحبي لَهُنَّ كُنًى، قال: فاكْتَنــي بابْنِكَ عبــدِ اللهِ ـ يَعْني ابنَ أُختِهــا عبدُ اللهِ بنُ الزُّبَيرِ ـ قال: فكانت تُكنى بأُمِّ عبدِ اللهِ»[1].

وجبر بخاطر أم المؤمنين صفية رض عندما عيرتها حفصة رض كونها ابنة يهودي.. فعن أنس بن مالك رض قال:

(بلغَ صفيَّةَ أنَّ حفصةَ قالت: «بنتُ يهودِيٍّ».. فبكتْ..

فدخلَ عليها النَّبيُّ ﷺ وهيَ تبكي..

فقالَ: ما يبكيكِ؟..

قالتْ لي حفصةُ: إنِّي بنتُ يهوديٍّ..

فقالَ النَّبيُّ ﷺ: وإنَّكِ لابنةُ نَبِيٍّ (من نســل هارون عليه السلام).. وإنَّ عمَّكِ لنبيٌّ (موسى عليه السلام).. وإنَّكِ لتحتَ نبيٍّ.. ففيمَ تفخرُ عليكِ؟

ثمَّ قالَ: اتَّقي اللهَ يا حفصةُ)[2].

زواج الحبيب ﷺ من سودة أم المؤمنين

كان رحيــل الســيدة خديجة رضي الله عنها مثيــرَ أحزان كبــرى في بيت النبي ﷺ، وخاصّة أن رحيلها تزامن مع رحيل عمّه أبي طالب حتى سُمِّي هذا العام بعام الحزن.

---

(١) تخريج سنن أبي داود: ٤٩٧٠ وقال الأرناؤوط حديث صحيح.

(٢) صحيح الترمذي: ٣٨٩٤.

وفي هذا الجو المعتم حيث الحزن والوَحدة.. وافتقاد مَنْ يرعى شـئون البيت والأولاد.. أشـفق عليه أصحابه رضوان الله عليهم.. فبعثـوا إليـه خولة بنـت حكيـم السـلمية ﵂ امـرأة عثمان بن مظعون ﵁ تحثُّه على الزواج من جديد.

جاءته خولة ﵂، فقالت: يا رسول الله، ألا تتزوَّج؟

فقال: «ومَنْ؟»

قالت: إنْ شئتَ بكرًا، وإنْ شئتَ ثيِّبًا.

فقال: «ومَنِ الْبِكْرُ وَمَنِ الثَّيِّبُ؟»

قالت: أمَّا البكر فابنـة أحبِّ خلق الله إليك، عائشـة ﵂، وأما الثيِّب فسودة بنت زمعة، قد آمنت بك واتبعتك.

قال: «فَاذْكُرِيهِمَا عَلَيَّ».

فانطلقت السيدة خولة ﵂ إلى السيدة سودة، فقالت: ما أدخل الله عليك من الخير والبركة!

قالت: وما ذاك؟

قالت: أرسلني رسول الله ﷺ أخطبك إليه.

قالت: وَدِدْتُ، ادخلي إلى أبي فاذكري ذلك له.

فتزوجها ﷺ..

وسودة **بنت زمعة** رَضِيَ اللهُ عَنْهَا أسلمتْ من قبل.. وكانت متزوجة مِن ابن عمها: السكران بن عمرو.. وأسلم هو أيضًا..

ثم هاجرا إلى أرض الحبشة في الهجرة الثانية.. فلما قدما مكة مات زوجها..

وتعدُّ السيدة سودة أوَّل امرأة تزوجها الرسول بعد خديجة.. وكانت قد بلغت مِن العمر حينئذٍ الخامسة والخمسين.. بينما كان رسول الله ﷺ في الخمسين مِن عمره.

ولما سمع الناس في مكة بأمر هذا الزواج عجبوا.. لأن السيدة سودة لم تكن بذات جمالٍ ولا حسبٍ.. ولا مطمع فيها للرجال..

وقد أيقنوا أنه إنما تزوجها رفقًا بحالها.. وشفقة عليها.. وحفظًا لإسلامها.. وجبرًا لخاطرها بعد وفاة زوجها[١].

النبي يجبر خاطر صحابته:

ومَن تأمل بعض مواقف رسول الله عَلَيْهِ الصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ في حياته.. يرى أن مراعاة الخواطر كان مِن أولوياته ﷺ مع الصحابة.. وضرب أروع الأمثلة في تلك العبادة..

وكان ﷺ ، من كريم أخلاقه.. **إذا رد هدية اعتذر لصاحبها..** تطييبًا لخاطره.. ففي الصحيحين: أَنَّ الصَّعْبَ بْنَ جَثَّامَةَ رَضِيَ اللهُ عَنْهُ ، أَهْدَى

(١) السيدة سودة وقصة زواجها من رسول الله، موقع قصة الإسلام. (بتصرف)

لِرَسُــولِ اللهِ ﷺ، حِمَــارَ وَحْشٍ وَهُــوَ بِالأَبْــوَاء (مَكان بيْــن مكَّةَ والمدينة)، وَهُوَ مُحْرِمٌ.. فَرَدَّهُ ﷺ..

قَالَ صَعْبٌ: فَلَمَّا عَرَفَ فِي وَجْهِي رَدَّهُ هَدِيَّتِي، قَالَ: «لَيْسَ بِنَا رَدٌّ عَلَيْكَ وَلَكِنَّا حُــرُمٌ»، أي: المحرم لا يَأكُلُ الصَّيدَ المذبوحَ مِن أجْلِه.

وكشفت الريحُ يوماً عن **ساقيّ ابْنِ مَسْعُودٍ** رضي الله عنه.. **فَضَحِكَ الْقَوْمُ مِنْهُ**.. فجبر النبي ﷺ خاطره.. وأعلى شــأنه.. وبيّن مكانته عند ربه فَقَالَ: «وَالَّذِي نَفْسِي بِيَدِهِ، لَهُمَا أَثْقَلُ فِي الْمِيزَانِ مِنْ أُحُدٍ»(١).

موقف المطعم بن عدي

ثمــة مواقف تُحفظ ولا تُنســى.. فلــم ينس النبــي عليه الصلاة والسلام موقف المطعم بن عدي.. حيــن أدخله في جواره يــوم عودته من الطائف حزيناً أسيفاً.. فقال الحبيب ﷺ في أُسَارَى بَدْرٍ: «لو كانَ المُطْعِمُ بنُ عَدِيٍّ حَيًّا، ثُــمَّ كَلَّمَنِي في هَــؤُلَاءِ النَّتْنَى (بمَعنى مُنْتِنٍ، لِرجْسِــهم الحاصلِ مِن كُفْرِهم)، **لَتَرَكْتُهُمْ له**»(٢).

وكان المُطعِمُ بنُ عَدِيٍّ أيضاً هو الَّذي سَعى في نَقْضِ الصَّحيفةِ الَّتي عَلَّقَتها قُريشٌ على الكَعْبــةِ.. وفيها مُقاطَعةُ بَني هاشِــمٍ وبَني المُطَّلِبِ.. فكان ﷺ يَحفَظُ له هذا الجميلَ.

---

(١) رواه الإمام أحمد.

(٢) رواه البخاري.

الكلم الطيب ومواقف «لا تُنسى»!

من يقرأ سيرة النبي ﷺ.. يلاحظ حرصه الدائم على مدح الصحابة رضوان الله عليهم، ومناداته الكثير منهم بكنيتهم.. دلالة على المودة والقرب..

وحرص على إظهار الحب لهم.. فعن معاذ بن جبل رضي الله عنه (أنَّ رسولَ الله ﷺ أخذَ بيدِهِ، وقالَ: يامُعاذُ، واللهِ إنِّي لأحبُّكَ، واللهِ إنِّي لأحبُّك».. وفي بقية الحديث علَّم النبي ﷺ معاذ بن جبل رضي الله عنه دعاء ختام الصلاة فقالَ: «أوصيكَ يا معاذُ لا تدَعنَّ في دُبُرَ كلِّ صلاةٍ تقولُ: اللَّهمَّ أعنِّي على ذِكْرِكَ، وشُكْرِكَ، وحُسنِ عبادتِكَ»[1].

وعندما قسم الغنائم.. أعطى قوماً من ضعفاء الإيمان وأكرمهم غاية الكرم.. وأعطى غيرهم شيئاً يسيراً..

فلما علم أنهم عَتِبوا عليه ذلك.. صعد المنبر وقال «إنِّي أُعطِي الرَّجُلَ وأَدَعُ الرَّجُلَ.. والذي أدَعُ أحبُّ إلَيَّ مِنَ الذي أُعْطِي.. أُعْطِي أقْوَامًا لِما في قُلُوبِهِمْ مِنَ الجَزَعِ والهَلَعِ.. وأَكِلُ أقْوَامًا إلى ما جَعَلَ اللَّهُ في قُلُوبِهِمْ مِنَ الغِنَى والخَيْرِ.. (أي: أتركُ بَعضًا ليس لنَقْصِ دِينِهم.. ولا إهمالًا لجانبِهم.. بلْ أكِلُهم إلى ما جعَلَ اللهُ في قُلوبِهم مِن النُّورِ والإيمانِ التَّامِّ).. منهمْ عَمْرُو بنُ تَغْلِبَ..

(١) صحيح أبي داود: ١٥٢٢.

فَقالَ عَمْرٌو: **ما أُحِبُّ أنَّ لي بكَلِمَةِ رَسولِ اللهِ ﷺ حُمْرَ النَّعَمِ»**[1].

كلمة واحدة.. طيَّبت قلب الصحابي عمرو بن تغلب.. فصار بها من أغنى الناس..

مالي أراك منكسراً؟

فعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه قال: (لقيني رســـول الله ﷺ فقال لي: يا جابرُ ما لي أراكَ منكسِرًا؟

قلتُ: يا رسولَ اللهِ استُشْهِدَ أبي قُتِلَ يومَ أُحُدٍ، وترَكَ عيالًا ودَينًا، قالَ: (أفلَا أبشِّرُكَ بما لقيَ اللهُ بِهِ أباكَ؟

قلتُ: بلَى يا رسولَ اللهِ..

قالَ: ما كلَّـــمَ اللهُ أحدًا قـــطُّ إلَّا من وراءِ حجابِـــه.. وأحيى أباكَ فَكَلَّمَهُ كِفاحًا فقالَ: يا عَبدي تَمنَّ علـــيَّ أُعْطِكَ قالَ: يا ربِّ تُحيِيني فأقتلَ فيكَ ثانيـــةً.. قالَ الرَّبُّ تبارك وتعالَى: إنَّهُ قد ســـبقَ منِّي أنَّهم إليها لَا يُرجَعونَ..

قالَ: وأُنْزِلَت هذِهِ الآيةُ: ﴿ وَلَا تَحْسَبَنَّ ٱلَّذِينَ قُتِلُوا۟ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ أَمْوَٰتًا ﴾ الآيةَ[2] فانظر كيف جبر الحبيب ﷺ خاطـــره.. وأزاح عنه الهم بهذه الكلمات؟!

---

(١) رواه البخاري.

(٢) صحيح الترمذي: ٣٠١٠.

هموٌمٌ وديون

وكان ﷺ يطيّب خواطر هــؤلاء الذين أثقل الديْن كاهلهم.. فعن أبي سعيد الخدري قال: دخل رســـولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ المسجدَ فإذا هو برجلٍ من الأنصارِ يُقالُ له أبو أمامةَ جالسًا فيه..

فقال: يا أبا أمامةَ ما لي أراك جالسًــا في المسجدِ في غيرِ وقتِ الصَّلاةِ؟

قال: **هموٌمٌ لزِمتني وديونٌ يا رسولَ اللهِ..**

قال: أفلا أُعلِّمُك كلامًا إذا قُلتَه أذهب اللهُ عَزَّ وَجَلَّ همَّك وقضَى عنك ديْنَك؟

فقال: بلى يا رسولَ اللهِ..

قال: قُلْ إذا أصبحتَ وإذا أمسيْتَ: اللَّهمَّ إنِّي أعوذُ بك من الهمِّ والحزنِ.. وأعوذُ بك من العجزِ والكســلِ.. وأعــوذُ بك من البخلِ والجبنِ.. وأعوذُ بك من غلبةِ الدَّينِ وقهرِ الرِّجالِ..

قال: فقلتُ ذلك.. فأذهب اللهُ عَزَّ وَجَلَّ همِّي وقضَى عنِّي دَيْني[(١)].

لَسْتَ بِكَاسِدٍ

يروي أنس بن مالك رضي الله عنه: أَنَّ رَجُلًا مِنْ أَهْــلِ الْبَادِيَةِ ـ يُقال لَهُ: **زَاهِرُ بْنُ حَرَامٍ كَانَ يُهدِي إِلَى النَّبِيِّ ﷺ الْهَدِيَّةَ..**

---

(١) أخرجه أبو داود (١٥٥٥)، والبيهقي في (الدعوات الكبير) (٣٠٥)



فَيُجَهِّزُهُ رَسُولُ اللهِ ﷺ إِذَا أَرَادَ أَنْ يَخْرُجَ..

فَقَالَ رَسُــولُ اللهِ ﷺ: (إِنَّ زاهِرًا بَادِيَنا، وَنَحْنُ حَاضِرُوهُ) «أي: هو سَــاكِنُ بَادِيَتِنَا.. ونحنُ نُعِدُّ له ما يَحْتاجُ إليه فــي بادِيَتِهِ من البَلَدِ»..

قَالَ: فَأَتَاهُ النَّبِيُّ ﷺ وَهُوَ يَبِيعُ مَتَاعَهُ، فَاحْتَضَنَهُ مِنْ خَلْفِهِ ـ وَالرَّجُلُ لَا يُبصره ـ..

فَقَالَ: أَرْسِلْنِي، مَن هَذَا؟!

فَالْتَفَــتَ إِلَيْهِ.. فَلَمَّا عَــرَفَ أَنَّهُ النَّبِــيُّ ﷺ.. جَعَلَ يُلْــزِقُ ظَهْرَهُ بِصَدْرِهِ،..

فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: (مَنْ يَشْتَرِي هَذَا الْعَبْدَ؟)..

فَقَالَ زَاهِرٌ: تجدُني يَا رَسُولَ اللهِ كاسِدًا..

قَالَ: (لَكِنَّكَ عِنْدَ اللهِ لَسْتَ بِكَاسِدٍ)، وفي لفظ: (بَلْ أَنْتَ عِنْدَ اللهِ غَالٍ)[١].

فتأمل كيف تعامل رسول الله مع زاهر.. وكان رجلًا دميمًا؟! لذا قال: «تجدُني يَا رَسُولَ اللهِ كاسِــدًا»، ولكن جبر رسول الله خاطره.. وأخبره أن له عند الله قدر ومنزلة.

---

(١) رواه أحمد وابن حبان، وصححه الألباني.

عبس وتولى

ومن أعظم الأمثلة التي تدل على مكانة جبر الخاطر في الإسلام قصة رسـول الله ﷺ مع الأعمى التي ودر ذكرها في سورة عبس في قوله تعالى: ﴿أَن جَآءَهُ ٱلۡأَعۡمَىٰ ۝ وَمَا يُدۡرِيكَ لَعَلَّهُۥ يَزَّكَّىٰٓ ۝ أَوۡ يَذَّكَّرُ فَتَنفَعَهُ ٱلذِّكۡرَىٰٓ ۝ أَمَّا مَنِ ٱسۡتَغۡنَىٰ ۝ فَأَنتَ لَهُۥ تَصَدَّىٰ ۝ وَمَا عَلَيۡكَ أَلَّا يَزَّكَّىٰ ۝ وَأَمَّا مَن جَآءَكَ يَسۡعَىٰ ۝ وَهُوَ يَخۡشَىٰ ۝ فَأَنتَ عَنۡهُ تَلَهَّىٰ﴾.

فأنزل الله سبحانه وتعالى هذه الآيـات معاتبةً لنبيه الكريـم.. لإعراضه عن الأعمى الذي جاء يسأله في أمور الدين.. وهو جالس مع كبار كفار قريش يحاول هدايتهم.. فكان الأعمى يلح في سؤال رسول الله دون أن يعلم انشغاله عنه بآخرين..

وقد ظهر علـى وجه النبي الكريم العبوس كمـا جاء في القرآن الكريم.. لتنزل هذه الآيات كمعاتبة للنبـي لإعراضه عن الأعمى.. وجبراً لهذا الرجل الذي حُرم من نعمة البصر.. وما أنزل المولى عز وجل هذه الآيات إلا موعظةً وعبرةً للعالمين.

جبْر خواطر الأنصار في حنين

وبعد غزوة حنين يضرب رسـول الله ﷺ أروع الأمثلة والمواقف في **جبر خواطر الأنصار** ويرضيهم ويهديهم أجمل هدية..

فعندما أعطى ﷺ ما أعطى من تلك العطايا.. في قريش وفي قبائل العرب.. ولم يكن في الأنصار منها شيء.. وجدوا في أنفسهم شيئاً..

فعن عبدالله بن زيد قال: لَمَّا أفَاءَ اللهُ علَى رَسولِهِ ﷺ يوم حُنَيْنٍ، قَسَمَ في النَّاسِ في المُؤَلَّفَةِ قُلُوبُهُمْ، ولَمْ يُعْطِ الأنْصَارَ شيئًا..

فَكَأنَّهُمْ وجَدُوا إذْ لَمْ يُصِبْهُمْ ما أصَابَ النَّاسَ..

فَخَطَبَهُمْ فَقالَ: يا مَعْشَرَ الأنْصارِ.. ألَمْ أجِدْكُمْ ضُلَّالًا فَهَدَاكُمُ اللهُ بي..

وكُنْتُمْ مُتفَرِّقِينَ فألَّفَكُمُ اللهُ بي..

وعَالَةً فأغْنَاكُمُ اللهُ بي..

كُلَّما قالَ شيئًا قالوا: اللهُ ورَسولُهُ أمَنُّ..

قالَ: ما يَمْنَعُكُمْ أنْ تُجِيبُوا رَسولَ اللهِ ﷺ. قالَ: كُلَّما قالَ شيئًا، قالوا: اللهُ ورَسولُهُ أمَنُّ..

قالَ: لو شِئْتُمْ قُلتُمْ: جِئْتَنَا كَذَا وكَذَا..

أتَرْضَوْنَ أنْ يَذْهَبَ النَّاسُ بالشَّاةِ والبَعِيرِ.. وتَذْهَبُونَ بالنبيِّ ﷺ إلى رِحَالِكُمْ..

لَوْلَا الهِجْرَةُ لَكُنْتُ امْرَأً مِنَ الأنْصارِ..

ولو سَلَكَ النَّاسُ وادِيًا وشِعْبًا لَسَلَكْتُ وادِيَ الأنْصارِ وشِعْبَهَا..

الأنْصَارُ شِعَارٌ والنَّاسُ دِثَارٌ.. إنَّكُمْ سَتَلْقَوْنَ بَعْدِي أُثْرَةً، فَاصْبِرُوا حتَّى تَلْقَوْنِي علَى الحَوْضِ»[١].

---

(١) رواه البخاري.

قال: فبكى القوم حتى أخضلت لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسماً وحظاً.

ثم انصرف رسول الله ﷺ.. وتفرقوا.

جبْرُ خاطر فقراء المهاجرين

أليس هو القائل لفقراء المهاجرين حين جاؤوه مكسوري الخاطر وقالوا: يَا رَسُولَ اللهِ، ذَهَبَ أَهْلُ الدُّثُورِ بِالْأُجُورِ.. يُصَلُّونَ كَمَا نُصَلِّي.. وَيَصُومُونَ كَمَا نَصُومُ.. وَيَتَصَدَّقُونَ بِفُضُولِ أَمْوَالِهِمْ.

قَالَ: أَوَلَيْسَ قَدْ جَعَلَ اللهُ لَكُمْ مَا تَصَّدَّقُونَ؟

إِنَّ بِكُلِّ تَسْبِيحَةٍ صَدَقَةً.. وَكُلِّ تَكْبِيرَةٍ صَدَقَةً.. وَكُلِّ تَحْمِيدَةٍ صَدَقَةً.. وَكُلِّ تَهْلِيلَةٍ صَدَقَةً..

وَأَمْرٌ بِالْمَعْرُوفِ صَدَقَةٌ.. وَنَهْيٌ عَنْ مُنْكَرٍ صَدَقَةٌ.. وَفِي بُضْعِ أَحَدِكُمْ صَدَقَةٌ..

قَالُوا: يَارَسُولَ اللهِ.. أَيَأْتِي أَحَدُنَا شَهْوَتَهُ وَيَكُونُ لَهُ فِيهَا أَجْرٌ؟

قَالَ: أَرَأَيْتُمْ لَوْ وَضَعَهَا فِي حَرَامٍ أَكَانَ عَلَيْهِ فِيهَا وِزْرٌ؟

فَكَذَلِكَ إِذَا وَضَعَهَا فِي الْحَلَالِ كَانَ لَهُ أَجْرٌ»[1].

---

(١) رواه مسلم.

جبْرُ خواطرنا:

بل إنه ﷺ جبر بخواطرنا نحن الذين نحبه ونشتاق إليه.. ونتمنى لو كنا إلى جانبه نذود عنه وننافح عن دعوته..

فعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ أَنَّ رَسُولَ اللهِ ﷺ أَتَى الْمَقْبَرَةَ فَقَالَ: «السَّلَامُ عَلَيْكُمْ دَارَ قَوْمٍ مُؤْمِنِينَ، وَإِنَّا إِنْ شَاءَ اللهُ بِكُمْ لَاحِقُونَ ووَدِدْتُ أَنَّا قَدْ رَأَيْنَا إِخْوَانَنَا».

قَالُوا: أَوَلَسْنَا إِخْوَانُكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «بَلْ أَنْتُمْ أَصْحابِي.. وَإِخْوَانُنَا لَمْ يَأْتُوا بَعْدُ»..

فَقَالُوا: كَيْفَ تَعْرِفُ مَنْ لَمْ يَأْتِ بَعْدُ مِنْ أُمَّتِكَ يَا رَسُولَ اللهِ؟

قَالَ: «أَرَأَيْتُمْ لَوْ أَنَّ رَجُلًا لَهُ خَيْلٌ غُرٌّ مُحَجَّلَةٌ بَيْنَ ظَهْرَانَيْ خَيْلٍ دُهْمٍ بُهْمٍ.. أَلَا يَعْرِفُ خَيْلَهُ؟»

فَقَالُوا: بَلَى يَا رَسُولَ اللهِ..

قَالَ: «فَإِنَّهُمْ يَأْتُونَ غُرًّا مُحَجَّلِينَ مِنَ الْوُضُوءِ.. وَأَنَا فَرَطُهُمْ عَلَى الْحَوْضِ»[1].

جبْرُ خاطرٍ وتواضع

كان يجبر قلوب الضعفاء والمساكين.. فكانت الجارية أو الأمَةُ مِنْ إماءِ أهْلِ المَدِينَةِ تَأْخُذُ بِيَدِه فَتَنْطَلِقُ بِهِ حَيْثُ شاءَتْ..

---

(١) رواه مسلم.

يقول أنس بن مالك رضي الله عنه : «إنْ كانت الأَمَةُ من [إماء] أهل المدينة لتأخذُ بيدِ رسول الله ﷺ فما ينزع يدَه من يدها حتى تذهَب به حيث شاءت من المدينة في حاجتها»[1].

قال ابن حجر في فتح الباري: «والتعبير بالأخذ باليد إشارة إلى غاية التصرف.. حتى لو كانت حاجتُها خارج المدينة.. والتمستْ منه مساعدتها في تلك الحاجة لساعد على ذلك.. وهذا دالٌّ على مزيدِ تواضعه.. وبراءته من جميع أنواع الكِبْرِ ﷺ »[2].

هنيئاً لك جُلَيْبيب

جُلَيْبيب أحد أولئك الصحابة الذين قل ذكرهم.. وكادت تُنسى عند جيل اليوم أسماؤهم وأفعالهم.. وما قدموه من تضحيات للإسلام..

جُليْبيب رضي الله عنه من فقراء الصحابة.. دميم الخِلقة.. لكنه حسن الخُلق..

لا يعرفه الكثير من أهل زمنه.. بل هو يكاد يكون منسياً مجهولا عندهم..

ففي نظر كثير من الناس.. أن الفقير والضعيف وغير الجميل.. لا يملك من مقومات السعادة شيئاً.. إذ أنهم يظنون أن السعادة في المال أو الجمال.. أو المنصب والنسب..

(١) صحيح ابن ماجه: ٣٣٨٦.
(٢) فتح الباري شرح صحيح البخاري (٦٠٢/١٠).

أما جليبيب فرغم كونه فقير الحال.. لكنـه كان غنياً بالإيمان.. رفع الله نسبه بالإسلام.. وشرفه بالدخول في هذا الدين..

كان جُلَيْبيب من أصحاب النبي.. وكان فقيراً وفي وجهه دمامة.. ويكثر الجلوس عند النبي ص..

فقال له النبي ص ذات يوم: يا جليبيب ألا تتزوج؟

فقال: يا رسول الله ومن يزوجني؟.. لا مال ولا جمال.. ولا حسب ولا نسب..

فقال: أنا أزوجك يا جليبيب..

فالتفت جليبيب إلى الرسول فقال: إذاً تجدني كاسداً يا رسول الله.

فقال الرسول: غير أنك عند الله لست بكاسد.. في إشارة إلى تقواه وصلاحه..

ثم لم يزل النبي يتحين الفرص حتى يزوج جليبيباً..

فجاء في يوم من الأيام رجل من الأنصار قد توفي زوج ابنته.. جاء إلى النبي يعرضها عليه ليتزوجها النبي..

وقد كانت الأنصار إذا كان لأحدهم أَيم (يعني أرملة او مطلقة) لم يزوجها حتى يعلم هل للنبي ﷺ فيها حاجة أم لا..

فقال له النبي: نعم ولكن لا أتزوجها أنا!..

فرد عليه الأب: لمن يا رسول الله؟

فقال: أزوجها جليبيباً..

فقال ذلك الرجل: يا رسول الله تُزوجها لجليبيب؟ يا رسول الله: انتظر حتى أستأمر أمها..!

ثم مضى إلى أمها وقال لها: إن النبي يخطب إليك ابنتك..

قالت: نعم ونعمين برسول الله.. فمن يرد رسول الله!

فقال لها: إنه ليس يريدها لنفسه..!

قالت: لمن؟ قال: يريدها لجليبيب!

قالت: لجليبيب لا لعمر الله.. لا أزوج جليبيباً،، وقد منعناها فلاناً وفلاناً..

فاغتم أبوها لذلك.. ثم قام ليأتي النبي.. فصاحت الفتاة من خدرها وقالت لأبويها: مَنْ خطبني إليكما؟

قال الأب: خطبك رسول الله..

قالت: أفتردان رسول الله أمره..

ادفعاني إلى رسول الله فإنه لن يضيعني!

ثم أكملت قولها: إن كان قد رضيه لكم رسول الله فأنكحوه.. والخيرة فيما اختاره الله ورسوله.



قال أبوها: نعم.. سأخبر النبي بموافقتك..

ثم ذهب إلى النبي وقال: يا رسول الله شأنك بها..

فدعا النبي جليبيباً.. ثم زوجه إياها ورفع النبي كفيه الشريفين وقال: اللهم صب عليهما الخير صباً ولا تجعل عيشهما كدًا كداً..

وبينما الرجل في خضم فرحته بالزواج الذي كان يظن أنه لن يطاله.. وبين يديه امرأة حلم بضمها إليه.. لتكون عفافه وسكنه.. نادى مناد الجهاد في سبيل الله.. فقام جليبيب يريد ما عند الله..

خرج النبي مع أصحابه في غزوة.. وخرج جليبيب معه.. فلما انتهى القتال اجتمع الناس وبدأوا يتفقدون بعضهم بعضاً.. فسألهم النبي وقال: أتفقدون من أحد؟..

قالوا: نعم يا رسول الله نفقد فلاناً وفلاناً.. كل واحد منهم إنما فقد تاجراً من التجار أو فقد ابن عمه أو أخاه.

فقال: نعم ومن تفقدون قالوا: هؤلاء الذين فقدناهم يا رسول الله..

فقال: ولكنني أفقد جليبيباً فقوموا نتلمس خبره.. ثم قاموا وبحثوا عنه في ساحة القتال وطلبوه مع القتلى.. ثم مشوا فوجدوه في مكان قريب إلى جنب سبعة من المشركين قد قتلَهم ثم غلبتْه الجراحُ فمات..

فوقف النبي على جسده المقطع ثم قال: قتلْتَهم ثم قتلوك.. أنت مني وأنا منك.. أنت مني وأنا منك.. أنت مني وأنا منك..

ثم حمل النبيُ هذا الجسد على ساعديه وأمرهم أن يحفروا له قبراً..

قال: فمكثنا نحفر القبر لجليبيب وماله فراش غير ساعد رسول الله..

قال: فعدنا إلى المدينة وما كادت تنتهي عدة زوجته حتى تسابق إليها الرجال يخطبونها.. وما كان في الأنصار أيمٌ أنفق منها! وذلك ببركة دعاء الرسول ﷺ.. اللهم صبَّ عليهما الخير صبّاً ولا تجعل عيشهما كدّاً كدّاً.

وبذلك طُويت صفحة صحابي عاش مغموراً ومات مشهوراً.. قد ظفر في مماته بشهادة الله وبكرامة رسول الله الذي أحبه وجبر خاطره في حياته.. في وقت كان منسياً من جميع من حوله..

فهنيئاً لك يا جليبيب.. وهنيئاً للمخلصين.. وهنيئاً للصادقين..[1]

---

(١) فعن أبي برزة الأسلمي أنَّ جُلَيْبِيًا كان امرأً مِن الأنصارِ.. وكان أصحابُ النَّبيِّ ﷺ إذا كان لأحدِهم أيِّمٌ لم يُزوِّجْها حتَّى يعلَمَ ألِلرَّسولِ ﷺ فيها حاجةٌ أم لا، فقال رسولُ اللهِ ﷺ ذاتَ يومٍ لرجلٍ مِن الأنصارِ: (يا فلانُ زوِّجْني ابنتَك) قال: نَعم ونُعمى عينٍ قال: (إنِّي لسْتُ لنفسي أُريدُها) قال: فلِمَن؟ قال: (لجُلَيبيبٍ)..
قال: يا رسولَ اللهِ حتَّى أستأمِرَ أمَّها.. فأتاها فقال: إنَّ رسولَ اللهِ ﷺ يخطُبُ ابنتَكِ
قالت: نَعم ونُعمى عينٍ.
قال: إنَّه ليسَتْ لنفسِه يُريدُها قالت: فلِمَن يُريدُها؟
قال: لِجُليبيبٍ قالت: حَلْقى، ألِجُليبيبٍ! قالت: لا لَعَمْرُ اللهِ لا أُزوِّجُ جُليبيبًا،
فلمَّا قام أبوها ليأتيَ النَّبيَّ ﷺ قالت الفتاةُ مِن خِدرِها لأمِّها: مَن خطَبني إليكما؟ قالا: رسولُ اللهِ ﷺ =

يد الحبيب ﷺ على صدر شاب

كم من الشباب من يحتاج يداً حانية تمتدّ إلى صدورهم.. تزرع فيها بذور الإيمان.. وتكرّه إليهم الفسوق والعصيان.. مثلما فعل الحبيب ﷺ بالشّاب الّذي جاء وغريزة الفاحشة تتأجج في صدره..

فعَنْ أَبِي أُمَامَةَ رضي الله عنه قَالَ: إنَّ فَتًى شَابًّا أَتَى النَّبِيَّ ﷺ فَقَالَ: يَا رَسُولَ اللهِ، ائْذَنْ لِي بِالزِّنَا، فَأَقْبَلَ الْقَوْمُ عَلَيْهِ فَزَجَرُوهُ وَقَالُوا: مَهْ، مَهْ، فَقَالَ: (ادْنُهْ، فَدَنَا مِنْهُ قَرِيبًا)، قَالَ: فَجَلَسَ قَالَ: (أَتُحِبُّهُ لِأُمِّكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأُمَّهَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِابْنَتِكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهِ يَا رَسُولَ اللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِبَنَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِأُخْتِكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِأَخَوَاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِعَمَّتِكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ

= قالت: أتردُّونَ على رسولِ اللهِ ﷺ أمرَه.. ادفعوني إلى رسولِ اللهِ ﷺ فإنَّه لن يُضيِّعَني.. فذهَب أبوها إلى النَّبيِّ ﷺ فقال: شأنُكَ بها.. فزوَّجها جُليبيًا.. ودعا لها: (اللَّهمَّ صُبَّ الخيرَ عليهما صبًّا ولا تجعَلْ عيشَهما كدًّا)

قال ثابتٌ: فزوَّجها إيَّاه..

فبَيْنا رسولُ اللهِ ﷺ في غزاةٍ قال: (تفقِدونَ مِن أحدٍ؟) قالوا: لا قال: (لكنِّي أفقِدُ جُلَيبيبًا فاطلُبوه في القتلى) فوجَدوه إلى جنبِ سبعةٍ قد قتَلهم ثمَّ قتَلوه.. فقال رسولُ اللهِ ﷺ: (أقتَلَ سبعةً ثمَّ قتَلوه؟ هذا منِّي وأنا منه) يقولُها سبعًا.. فوضَعه رسولُ اللهِ ﷺ على ساعدَيْه ما له سريرٌ إلَّا ساعدَيْ رسولِ اللهِ ﷺ حتَّى وضَعه في قبرِه.. قال ثابتٌ: وما كان مِن الأنصارِ أيِّمٌ أنفَقَ منها». أخرجه النسائي، وأحمد وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح.

يُحِبُّونَهُ لِعَمَّاتِهِمْ)، قَالَ: (أَفَتُحِبُّهُ لِخَالَتِكَ؟) قَالَ: لَا، وَاللهِ جَعَلَنِي اللهُ فِدَاءَكَ، قَالَ: (وَلَا النَّاسُ يُحِبُّونَهُ لِخَالَاتِهِمْ)، قَـالَ: فَوَضَعَ يَدَهُ عَلَيْهِ وَقَالَ: (اللَّهُـمَّ اغْفِرْ ذَنْبَهُ وَطَهِّرْ قَلْبَهُ، وَحَصِّنْ فَرْجَـهُ)، فَلَمْ يَكُنْ بَعْدُ ذَلِكَ الْفَتَى يَلْتَفِتُ إِلَى شَيْءٍ[1].

وأيّ جبرٍ للخاطر أعظم مـن أن تمدّ يدك لمن يطلب المعصية.. فتأخذ به إلى رحاب الله تعالى؟!

حفاةٌ عراة من مُضر:

وفي الوقت الـذي تغمرنـا فيه النعـم.. يصبـح الملايين من المسلمين ويمسون تحت سوط الفقر والقهر..

ومن المؤسـف أن بعضنا يتمتع بلياقة عالية من عدم الإحساس تجاههم ـ ولو بالدعاء ـ ربما لكونهم يعيشـون في طرف الكوكب! ولو كانت والدةُ أحدنا من بينهم لعدّها قضية عمره!.

فعن جرير بن عبد الله ﵁ قال: «كُنَّا عِنْدَ رَسولِ اللهِ ﷺ في صَدْرِ النَّهَارِ، قالَ: فَجَـاءَهُ قَوْمٌ حُفَاةٌ عُرَاةٌ مُجْتَابِي النِّمَـارِ أَوِ العَبَاءِ.. (أي: لابسي الثياب المُخرَّقةِ)، مُتَقَلِّدِي السُّـيُوفِ، عَامَّتُهُمْ مِن مُضَرَ، بَلْ كُلُّهُمْ مِن مُضَرَ»..

وحين رأى النبي ﷺ هذا الحال منهم: انعكسـت مشـاعر الألم والحـزن والهـم على وجهـه ﷺ كما قـال جريـر: «فَتَمَعَّـرَ وَجْهُ

(١) أخرجه أحمد (٢٢٢١١) وقال الأرناؤوط: إسناده صحيح، والطبراني (٨/١٩٠. (٧٦٧٩)

رَســولِ اللهِ ﷺ لِما رَأى بهِمْ مِنَ الفَاقَةِ، فَدَخَلَ ثُمَّ خَرَجَ، فأمَرَ بلَالًا فأذَّنَ وَأَقَامَ، فَصَلَّى ثُمَّ خَطَبَ..

فَقــالَ: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ﴾ إلــى آخرِ الآيَةِ، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١] وَالآيَةَ الَّتي في الحَشْرِ: ﴿ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلْتَنظُرْ نَفْسٌ مَّا قَدَّمَتْ لِغَدٍۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ﴾ [الحشر: ١٨]»..

أدرك الصحابة اســتثنائية الموقف.. حيث ابتدأ بخطبة على غير ميعاد.. مع ظهور مشاعر الهم والحزن على وجهه عليه الصلاة والسلام أثناء الخطبة.. فأنصتت القلوب قبل الآذان.. وانتظر الجميع ما الذي سيقوله خاتم النبيين في هذا الموقف.

فقال: «تَصَدَّقَ رَجُلٌ مِن دِينَارِهِ، مِــن دِرْهَمِهِ، مِن ثَوْبِهِ، مِن صَاعِ بُرِّهِ، مِن صَاعِ تَمْرِهِ، حتَّى قالَ، ولو بشِقِّ تَمْرَةٍ».. هكذا تدفق حثّه ﷺ أصحابه على إعانة هؤلاء القوم إلى أسماعهم مختوماً بـ (شق تمرة)!

تخيلــوا..! يحثهم وهــو المنبر في هــذه الحال علــى إخراج ما لديهم.. ولو لم يكن إلا شق تمرة!

أما الدنانيــر والدراهم والثيــاب.. فقطعاً سيســتفيد منها هؤلاء الفقراء.. وكذلك البر والشعير..

ولكن نصف التمرة ما الذي ستُغنيه! ما الذي ستسدّه؟..

نعم هي لا تُغني.. ولكنها تعني!

تعني حرارة الفؤاد وحياة الضمير.. وإحياء مبدأ المسؤولية تجاه حاجة المسلمين..

هو ﷺ يعلم أن أصحابه متفاوتين من حيث القدرة على إعانة هؤلاء المحتاجين.. ففتح لهم فرص البذل ولو بأدنى ما يمكن..

فيكون دوْر القادرين منهم تقديم ما (يُغني)..

ودوْر العاجزين منهم تقديم ما (يعني)!..

وبما أن الذين أمامه هم نتاج تربيته.. وكان قد غرس فيهم أن (الساعي على الأرملة والمسكين كالمجاهد في سبيل الله، أو القائم الليل الصائم النهار) كما ثبت عنه ﷺ في صحيحي البخاري ومسلم.

وبما أنهم هم الرجال الذين فدوا الإسلام بأنفسهم.. فلن يخذلوه في هذا المقام.. وخاصة أهل الإيثار والجود: الأنصار وما أدراك ما الأنصار.

قال جرير: (فَجَاءَ رَجُلٌ مِنَ الأَنْصَارِ بِصُرَّةٍ كَادَتْ كَفُّهُ تَعْجِزُ عَنْهَا، بَلْ قَدْ عَجَزَتْ، قَالَ: ثُمَّ تَتَابَعَ النَّاسُ، حتَّى رَأَيْتُ كَوْمَيْنِ مِن طَعَامٍ وَثِيَابٍ) فلمّا رأى ذلك النبي سُرّي عنه ﷺ، وتهلل وجهه، واستنار كما قال جرير: (حتَّى رَأَيْتُ وَجْهَ رَسولِ اللهِ ﷺ يَتَهَلَّلُ، كَأَنَّهُ مُذْهَبَةٌ) والمُذهبة هي الفضّة المذهّبة! ويالَحُسنِها وضيائها!

ثم ختم النبي ﷺ هذا المشـــهد بوســـام تكريم عظيم للأنصاري الذي بادر فكان أول المتصدقين، حيث قال: (مَن سَـــنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً حَسَنَةً، فَلَهُ أَجْرُهَا، وَأَجْرُ مَن عَمِلَ بها بَعْدَهُ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أُجُورِهِمْ شيءٌ، وَمَن سَنَّ في الإسْلَامِ سُنَّةً سَيِّئَةً، كانَ عليه وِزْرُهَا وَوِزْرُ مَن عَمِلَ بهَا مِن بَعْدِهِ، مِن غيرِ أَنْ يَنْقُصَ مِن أَوْزَارِهِمْ شيء).

هذه القصة العظيمة أخرجها الإمام مسلم في صحيحه.. وفيها من العبر والعظات الشيء الكثير غير أن السؤال الذي يؤرق هو:

ماذا لو رأى رسول الله ﷺ المضطهدين واللاجئين والمعدمين من أمته في هذا الزمان؟!

كيف لو رأى اجتماع التشـــريد والبرد والفقـــر والجهل والظلم عليهم دفعة واحدة؟!

كيف سيكون وجهه ﷺ ؟

ما الذي سيعتمل في داخله؟

هل سيقر له قرار أو يهنأ له بال؟!

وإذا لم يمكننا تقديم ما (يُغنـــي) فعلى الأقل لنقدم ما (يعني).. ونعوذ بالله من موت القلب وبرود الضمير.. حتى نرى كل ما حولنا من مآسٍ.. ثم لا نقدم ولو قليلاً..[1]

---

(١) أ. أحمد بن يوسف السيد: تعني.. ولو كانت لا تُغني! (بنصرف)

جبْرُ خاطر الأطفال

وحتى الأطفــال.. كان لهم من جبر الخاطر مع رســول الله ﷺ نصيب.. مع ما يحمله من قيادة الأمة.. وتكاليف تبليغ الدعوة.

فعَنْ أَنَسِ بْنِ مَالِكٍ رضي الله عنه قَالَ: كَانَ لِــي أَخٌ صَغِيرٌ يُكْنَى أَبَا عُمَيْرٍ فَطِيمًا أيْ تجاوزَ السَّنتينِ من عُمرِهِ وَكَانَ ﷺ يُمَازِحُهُ..

وَكَانَ لَهُ نُغَرٌ طائرٌ صَغيرٌ يُشبِهُ العُصفورِ يَلْعَبُ بِهِ فَمَاتَ..

فَدَخَلَ عَلَيْهِ النَّبِــيُّ ﷺ ذَاتَ يَوْمٍ فَرَآهُ حَزِينًا فَقَالَ: «مَا شَــأْنُهُ؟»، قَالُوا: مَاتَ نُغَرُهُ..

فَقَالَ مواسياً له وجابراً لقلبِه: «يَا أَبَا عُمَيْرٍ، مَا فَعَلَ النُّغَيْرُ؟».

كأنَّه يقولُ: أخبرني ما الذي حدثَ؟.

ولكم أن تتخيلوا شــعورَ هذا الغلامِ وهو يسترســلُ في حديثِه للنَّبيِّ ﷺ عن النُّغيرِ وذِكرياتِه ومشاعرِه.. وما لهذا الحديثِ من الأثرِ في جبرِ خاطرِ الصغيرِ.. وتسليةِ قلبِه الكسيرِ.

توفي ولده.. فانكسر خاطره

وهذا رجل من أصحاب النَبيّ ﷺ، توفي ولده.. فانكسر خاطره.. وانعزل عن الناس.. فعن قرة بن إياس المزنــي: كانَ نبيُّ اللهِ ﷺ إذا جلَسَ يجلِسُ إليهِ نفرٌ من أصحابِهِ، وفيهــم رجلٌ لَهُ ابنٌ صغيرٌ يأتيهِ من خلفِ ظَهْرِهِ، فيُقعدُهُ بينَ يديهِ.. فهَلَكَ..



فامتنعَ الرَّجلُ أن يحضُرَ الحلقةَ لذِكْرِ ابنِهِ فحزنَ علَيهِ..

ففقدَهُ النَّبيُّ ﷺ فقالَ: مالي لا أرى فلانًا؟

قالوا: يا رسولَ اللهِ، بُنَيُّهُ الَّذي رأيتَهُ هلَكَ..

فلقيَهُ النَّبيُّ فسألَهُ عن بُنَيِّهِ.. فأخبرَهُ أنَّهُ هلَكَ.. فعزَّاهُ علَيهِ..

ثمَّ قالَ: يا فلانُ، أيُّما كانَ أحبُّ إليكَ أن تُمتَّعَ بِهِ عمُرَكَ.. أو لا تأتي غدًا إلى بابٍ من أبوابِ الجنَّةِ إلَّا وجدتَهُ قَد سبقَكَ إليهِ يفتَحُهُ لَكَ؟

قالَ: يا نبيَّ اللهِ، بل يَسبقُني إلى بابِ الجنَّةِ فيَفتحُها لي لَهوَ أحبُّ إليَّ..

قالَ: «فذاكَ لَكَ»[1].

جبْرُ خاطر من لا يملك عملاً:

سأل أبو ذرٍّ: يا رسولَ اللهِ ماذا يُنَجِّي العبدَ منَ النَّار؟

قال: الإيمانُ باللهِ..

قلتُ: يا نبيَّ اللهِ إنَّ مع الإيمانِ عملٌ؟

قال: يَرْضَخُ (أي ينفق) مِمَّا رَزَقَهُ اللهُ ﷻ..

قال: يأمرُ بالمعروفِ وينهى عن المنكرِ..

(١) صحيح النسائي: ٢٠٨٧.

قلـــتُ: يا رســـولَ اللهِ أرأيـــتَ إن كان عَيِيًّا لا يســـتطيعُ أن يأمرَ بالمعروفِ ولا ينهى عنِ المنكرِ؟

قال: يصنــعُ لأَخرقٍ (لأخرق هـــو الذي لا يجيـــد الصنعة.. أي تصلح له شيئاً فسد عليه)

قلتُ: أرأيتَ إن كان أخرقَ لا يستطيعُ أن يصنع شيئًا؟

قال: يعينُ مغلوبًا!..

قلتُ أرأيتَ إن كان ضعيفًا لا يستطيعُ أن يُعينَ مظلومًا؟..

فقال: ما تريدُ أن تتركَ في صاحبِك من خيرٍ.. تُمسِكُ الأذى عن الناسِ..

فقلتُ: يا رسولَ اللهِ إذا فعل ذلك دخل الجنةَ؟

قال: ما من مســـلمٍ يفعل خَصلةً من هؤلاءِ إلا أخذتْ بيدِه حتى تُدخِلَه الجنَّةَ»[1].

جبر خاطر أمته في شفاعته

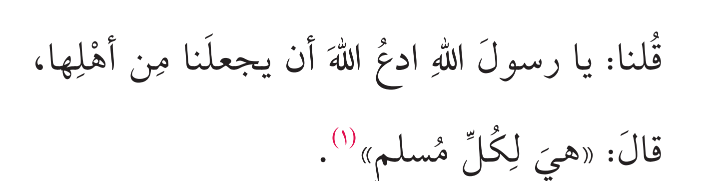
«أتَدرونَ ما خَيَّرَني ربِّي اللَّيلةَ؟»

قُلنا: اللهُ ورسولُهُ أعلمُ،

قالَ: «فإنَّـــهُ خَيَّرَني بيـــنَ أن يدخلَ نصـــفُ أُمَّتي الجنَّـــةَ، وبينَ الشَّفاعةِ، فاخترتُ الشَّفاعةَ»،

---

(١) السلسلة الصحيحة: ٣٦٩/٦.



قُلنا: يا رسولَ اللهِ ادعُ اللهَ أن يجعلَنا مِن أهْلِها،

قالَ: «هيَ لِكُلِّ مُسلمٍ»(١).

وفي رواية لأحمد: قالوا: يا رسولَ اللهِ، نَنشُدُكَ اللهَ والصُّحْبَةَ لَمَا جَعَلْتَنا من أهْلِ شَــفاعَتِكَ. قال: «فلمَّا أضَبُّوا عليه **(كَثُرَ عليه الناسُ وازدَحَموا، وهم يَطلُبونَ منه أنْ يَكونوا مِن أهلِ الشَّــفاعةِ)** قال: فأنا أُشهِدُكم أنَّ شَفاعتي لِمَن لا يُشرِكُ باللهِ شيئًا مِن أُمَّتي»(٢).

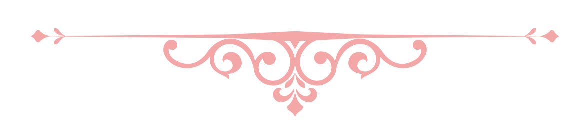
❋ ❋ ❋

---

(١) صحيح ابن ماجه: ٣٥٠٣.

(٢) رواه أحمد وإسناده صحيح.

جبْرُ الخواطر في حياتهم



لا أنساها لها

فهذه عائشةُ رَضِيَ اللهُ عَنْهَا كلما حدَّثتْ بحديثِ الإفكِ، تذكرُ موقفَ امرأة من الأنصارِ.. «... قَالَـتْ: فأصْبَحَ أبَوَايَ عِندِي وقَـدْ بَكَيْتُ لَيْلَتَيْنِ ويَوْمًا لا أكْتَحِلُ بنَـوْمٍ، ولَا يَرْقَأُ لي دَمْـعٌ، يَظُنَّانِ أنَّ البُـكَاءَ فَالِقٌ كَبِدِي..

قالَتْ: فَبيْنَما هُما جَالِسَانِ عِندِي، وأَنَا أبْكِي فَاسْتَأْذَنَتْ عَلَيَّ امْرَأَةٌ مِنَ الأنْصَارِ، فأذِنْتُ لَهَا فَجَلَسَتْ تَبْكِي مَعِي...»[(١)].

بكت دون أن تنطق كلمة..

فهل رأيتُم كيفَ أنَّ المشـاركةَ في البُكاءِ.. أصبحَ مثالاً من أمثلةِ الوفاءِ..

فها هي الدَّمعاتُ كانَ لها أعظمُ الأثرِ والمواساةِ..

قالت عائشة: لا أنساها لها.

(١) رواه البخاري.

ولَا أنْسَاهَا لِطَلْحَةَ

وحتى في السُّرورِ والأفراحِ قد يكونُ جبرُ الخواطرِ للمحبةِ مفتاحاً..

فها هو كعبُ بنُ مالكٍ ﷺ لمّا تاب اللهُ تعالى عليه وعلى صاحبيه الذينَ تخلَّفوا عن غزوةِ تبوكَ.. يقولُ: «وانْطَلَقْتُ إلى رَسولِ اللهِ ﷺ، فَيَتَلَقَّانِي النَّاسُ فَوْجًا فَوْجًا، يُهَنُّونِي بالتَّوْبَةِ، يقولونَ: لِتَهْنِكَ تَوْبَةُ اللهِ عَلَيْكَ.

قَالَ كَعْبٌ: حتَّى دَخَلْتُ المَسْجِدَ، فَإِذَا رَسولُ اللهِ ﷺ جَالِسٌ حَوْلَهُ النَّاسُ..

فَقَامَ إلَيَّ طَلْحَةُ بنُ عُبَيْدِ اللهِ يُهَرْوِلُ حتَّى صَافَحَنِي وهَنَّانِي، واللهِ ما قَامَ إلَيَّ رَجُلٌ مِنَ المُهَاجِرِينَ غَيْرَهُ، ولَا أنْسَاهَا لِطَلْحَةَ»[١]..

وكيفَ ينسى كعبُ هذه اللحظاتِ.. وقد شاركَهُ طلحةُ الفرحةَ والتبريكاتِ..

فمواقف الجبر في لحظات الانكسار لا تُنسى..

ولكن ما الّذي ميّز موقف طلحة بن عبيد الله ﷺ عن غيره من الصّحابة؟

طلحة ﷺ قام بتصرفٍ ما سبقه إليه أحد.. ولا كرره من بعده أحد. فكان أنْ كسِبَ قلب كعب رضوان الله عليه..

(١) رواه البخاري.

عمر الفاروق والأطفال الجياع

خرج الفاروق عمر رضي الله عنه مع مولاه «أسلم» في ليلة مظلمة شديدة البرد يتفقد أحوال الناس.. فلما كانا بمكان قرب المدينة.. رأى عمر نارًا.. فقال لمولاه: يا أسلم.. ههنا ركبٌ قد قصَّر بهم الليلُ.. انطلقْ بنا إليهم فذهبا تجاه النار..

فإذا بجوارها امرأةٌ وصبيان.. وإناءٌ موضوع على النار.. والصبيان يتصايحون من شدة الجوع.. فاقترب منهم وسألهم: ما بالكم؟

فقالت المرأة: قصَّر بنا الليلُ والبردُ..

قال: فما بال هؤلاء الصبية يتضاغون (يصطرخون)؟!

قالت: من الجوع.. فقال: وأي شيء على النار؟

قالت: ما أعلِّلهم به حتى يناموا!.. **الله بيننا وبين عمر..**

فبكى ورجع إلى البيت فأحضر دقيقًا وسمنًا وقال: يا أسلم، احملْه على ظهري.. فقال أسلم: أنا أحمله عنك.

فقال: أنت تحمل وزري يوم القيامة؟

فحملَه على ظهره وانطلقا حتى أتيا المرأة.. فألقى الحملَ عن ظهره وأخرج من الدقيق فوضعه في القدر.. وألقى عليه السمن وجعل ينفخ تحت القدر والدخان يتخلل لحيته ساعةً.. حتى نضج الطعام.. فأنزله من على النار وقال: ائتني بصُحفة.. فأتى بها.. فغرف فيها ثم جعلها أمام الصبيان، وقال: كلوا..

فأكلوا حتى شبعوا.. والمرأة تدعو له.. فلم يزل عندهم حتى نام الصغار.. ثم انصرف وهــو يبكي، ويقول: يا أســلم.. الجوعُ الذي أسهرَهم وأبكاهم.!

تعزية ابن عمر

لَمَّا صُلِبَ ابْنُ الزُّبَيْرِ رضي الله عنهما، دَخَلَ ابْنُ عُمَرَ رضي الله عنهما الْمَسْجِدَ، فَقِيلَ لَهُ: إِنَّ أَسْمَاءَ بِنْتَ أَبِي بَكْرٍ رضي الله عنهما فِي نَاحِيَةِ الْمَسْجِدِ ـ وهي أمُّ عبدِ اللهِ بن الزُّبيرِ ـ، فَمَالَ إِلَيْهَا فَعزَّاهَا،

وَقَالَ: «إِنَّ هَذِهِ الْجُثَثَ لَيْسَــتْ بِشَــيْءٍ، وَإِنَّمَــا الْأَرْوَاحُ عِنْدَ اللهِ ـ تعالى ـ؛ فَاتَّقِي اللهَ، وَعَلَيْكِ بِالصَّبْرِ»[1].

فما أحرَّ أن تقــولَ للمكلوم: إنَّــا للهِ وإنَّا إليه راجعــونَ، إنَّ لِلهِ مَا أَخَذَ، وَلَهُ مَا أَعْطَى، وَكُلٌّ عِنْدَهُ بِأَجَلٍ مُسَمًّى؛ فَلْتَصْبِرْ وَلْتَحْتَسِبْ..

خُلِق للإمارة!

والكلمة الطيبة تشــمل المديح والقول الحســن.. والتعبير عن الإعجاب أو الحب والامتنان.. وحتى شهادة الحق..

فقد رأى عمرُ بن الخطاب رضي الله عنه عمرو بن العاص رضي الله عنه وهو مقبلٌ..

وقد كان ابن العاص معروفًا بحبه للإمارة.. علاوة على أن مشيته وحديثه كلها تدل على أنه خُلِق للإمارة!

(١) سير أعلام النبلاء للذهبي ٢: ٢٨٨.

فعَنِ اللَّيْثِ بنِ سَعْدٍ قَالَ: نَظَرَ عُمَرُ بْنُ الْخَطَّابِ إِلَى عَمْرِو بنِ العَاصِ، فَقَالَ: مَا يَنْبَغِي لَأَبِي عَبْدِ اللهِ أَنْ **يَمْشِيَ عَلَى الأَرْضِ إِلَّا أَمِيْراً**[1].

لا يجد ما يعطيه

وكان أهل الصلاح يأسون لو لم يجدوا ما يجبرون به خواطر المحتاجين..

قال أحدهم: كنت أمشي مع سفيان بن عيينة.. فسأله سائلٌ.. فلم يكن معه ما يعطيه.. فبكى..

فقلت له: وما يبكيك يا أبا محمد؟

قال: وأي مصيبة أعظم منْ أنْ يؤمِّلَ فيك رجلٌ خيراً فلا يصيبه منك؟[2].

وعند صديقٍ جبر الخواطر

جاء رجل من السلف إلى بيت صديق له، فخرج إليه..

فقال ما جاء بك؟

قال: عليَّ أربعمائة درهم.. فدخل الدار فوزنَها ثم خرج فأعطاه.. ثم عاد إلى الدار باكيًا..

---

(١) تاريخ دمشق لابن عساكر، ج٤٦، ص١٥٥.

(٢) التذكرة لابن حمدون، ٨/٩١.

فقالت زوجته: هلّا تعلّلتَ عليه [أي: تعـذّرت] إذا كان إعطاؤه يَشقُّ عليك؟!

فقال: إنما أبكي لأني لم أتفقد حاله.. فاحتاجَ أن يقول ذلك لي..

الدار والمال لهم

وردت في تراثنا عن جبر الخواطر ما جاء في كتاب «المستجاد من فعـلات الأجواد».. فقد اشـترى عبدالله بن عامـر من خالد بن عقبة بن أبي معيط داره التي في السوق بتسعين ألف درهم..

فلما كان الليل سمع بكاءَ آل خالد..

فقال لأهله: ما لهؤلاء؟

قالوا: يبكون لدارهم التي اشتريتَ منهم..

قال: يا غلام.. ائتهم فأعلمْهم أن الدار والمال لهم جميعاً»[١].

أَيُّ أَعْمَالِكَ أَرْجَى

واسمعْ إلى سـعيدِ بنِ إسـماعيلَ الواعظِ رَحِمَهُ ٱللَّهُ وقد سُـئلَ: أَيُّ أَعْمَالِكَ أَرْجَى عِنْدَكَ؟

فَقَالَ: إِنِّي لَمَّا تَرَعْرَعْتُ وَأَنَا بِالرَّيِّ وَكَانُوا يُرِيدُونَنِي عَلَى التَّزْوِيجِ فَأَمْتَنِعُ..

(١) المحسن بن علي التنوخي: «المستجاد من فعلات الأجواد»، دار صادر، بيروت.

فَجَاءَتْنِي امْرَأَةٌ فَقَالَتْ: يَا أَبَا عُثْمَانَ قَدْ أَحْبَبْتُكَ حُبًّا أَذْهَبَ نَوْمِي وَقَرَارِي.. وَأَنَا أَسْأَلُكَ بِمُقَلِّبِ الْقُلُوبِ وَأَتَوَسَّلُ بِهِ إِلَيْكَ لَمَا تَزَوَّجْتَنِي..

فَقُلْتُ: أَلَكِ وَالِدٌ؟

فَقَالَتْ: نَعَمْ..

فَأَحْضَرَتْهُ.. فَاسْتَدْعَى بِالشُّهُودِ.. فَتَزَوَّجْتُهَا..

فَلَمَّا خَلَوْتُ بِهَا إِذَا هِيَ **عَوْرَاءُ عَرْجَاءُ مُشَوَّهَةُ** الْخَلْقِ..

فَقُلْتُ: اللَّهُمَّ لَكَ الْحَمْدُ عَلَى مَا قَدَّرْتَهُ لِي..

وَكَانَ أَهْلُ بَيْتِي يَلُومُونَنِي عَلَى تَزْوِيجِي بِهَا.. فَكُنْتُ **أَزِيدُهَا بِرًّا وَإِكْرَامًا.. وَرُبَّمَا احْتَبَسَتْنِي عِنْدَهَا**.. وَمَنَعَتْنِي مِنَ الْحُضُورِ إِلَى بَعْضِ الْمَجَالِسِ..

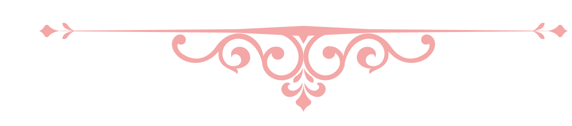
وَكَأَنِّي فِي بَعْضِ أَوْقَاتِي عَلَى الْجَمْرِ وَأَنَا لَا أُبْدِي لَهَا مِنْ ذَلِكَ شَيْئًا..

فَمَكَثْتُ كَذَلِكَ خَمْسَ عَشْرَةَ سَنَةً.. فَمَا شَيْءٌ أَرْجَى عِنْدِي مِنْ حِفْظِي عَلَيْهَا مَا كَانَ فِي قَلْبِهَا مِنْ جِهَتِي(١).

❋ ❋ ❋

(١) ابن كثير: البداية والنهاية، ج ١١، ص ١١٥.

جبْرُ الخواطر عبادةٌ وفن



جبر الخواطر عبادة يؤجر فاعلها.. وفنٌ من أرقى فنون التعامل..

ولم يكن شرف الإنسان يوماً مهنةً يمارسُها.. ولا منصباً يعتليه..

ولا شارعٍ مرموق يقطن فيه.. أو رتبة علميّة يرتقي إليها..

شرفُ كلِّ إنسان كامنٌ بين جنبيه.. يُقاس بإنسانيته.. كم فيه منها!

وكم يشاطرها أخاه الإنسان تعاطفاً.. ووداً.. وسنداً!..

ومع كثـرة الفتن والهموم.. تشـتد الحاجة إلى مواسـاة الناس وتطييب خواطرهم بكل وسيلة طيبة متاحة..

فجبر الخواطر قد لا يحتاج إلى جهد..

فربما بكلمة أو دعوة.. أو حتى بابتسامة..

تشرح قلباً مهموماً.. وتُسعف خاطراً مكسوراً.

أما كنتَ يوماً ما مجروحاً تشعر بالألم من موقف بعينه..

وكنت تنتظر من يجبر خاطرك؟

ألم تتعرض يوماً لكسرٍ ما.. حسياً كان أم معنوياً.. وكنت محتاجاً لمن يجبره؟

لا شك أن كثيراً منا أو كلنا كان كذلك يوماً ما.. وانتظرَ جبر خاطره.. بعد أن كُسِرَتْ نفسُه.. أو فُطِرَ قلبُه.. أو أُرْهِقَ جسَدُه[١].

كن متفرّدًا

لا تكتفِ بمجرد العطاء وكن متفردًا متميزاً!..

فلأنْ تعطي الفقير مالاً في يده.. فأنت تسعده..

ولكن أنْ تدعوَ له.. وترْبتَ على كتفه أمرٌ آخر!..

أمرٌ لا يقوم به كثير من الناس.. وإنما يكتفون بإعطاء الصدقة.. ويمضون في طريقهم.

كذلك أنْ يقوم المدرسُ بشرح المادة جيداً والإنصراف.. فقد أدى ما عليه من واجب سيُسأل عنه..

لكن.. أنْ يُنشئَ مع الطلبة علاقة أبوية أو أخوية.. ينصحهم ويوجههم بما فيه الخير لهم ولأمتهم.. فهذا بلا ريب عملٌ لا يُنسى[٢].

وقد عرفتُ في حياتي أمثال هؤلاء.. فشكراً لهم..

---

(١) د. عبدالواحد أبو حطب: جبر الخواطر. (بتصرف)

(٢) أ. تسنيم عبد الرحمن النمر: لا أنساها لطلحة! (بتصرف)

وقد لا تحتاج **أحياناً** إلا إلى «لهفة» أو «هرولة».

من أخ قريبٍ صادق لك..

يخبرك أنّك لست وحدك..

بل يحزن لحزنك.. ويفرح لفرحك..

من يحبك تجده في أوقات أزماتك..

لا أوقات استرخائك!.

فالمواقف لاتنسى.

صدقات الخفاء

كم من المحسنين من لا يعرفهم أحدُ إلا بعد وفاتهم؟

بل حتى المساكين لا يعلمون بمن كان يوفر لهم الزاد..

ويدفع مصاريف الماء والكهرباء..

حتى إذا مات المحسنُ.. انقطعت المصروفات والمعونات..

فجاء من يخبرهم بأن فلانًا.. هو من كان يقوم على شؤونكم!..

وكم من القصص الجميلة لمحسنين آثروا إخفاء صدقاتهم وإحسانهم..

حفاظًا على مشاعر الناس.. وتنفيذًا لخبر الرسول ﷺ عمن ينفق فلا تدري شماله ما أنفقت يمينه..

وكم منْ ورثةٍ فوجئوا بأن آباءهم أو أمهاتهم.. كانوا قائمين على ستر بيوت وكفالة أيتام..

ولم يعلموا بذلك إلا من كشـوف حسـابات.. أو من إيصالات وحوالات[1].

يقول أحدهـم: كان أبي يشـتري مـن الباعة الذيـن يعرضون بضائعهم أمام المسـجد وعلى الأرصفة.. وأعرف أنه ليس محتاجًا إليها.. ثم يبقيها في السيارة..

ويبعثها مع السائق أو بنفسه لأناس لا نعلم بهم..

حتى أني مازحتُ أمي ذات يوم وقلت لها: إن أبي يشتري للبيت الثاني أكثر من حاجات منزلنا!!.. ولم يكن أبي معددًا..

فاكتفى والدي بالتبسم..

وعلمتُ فيما بعـد.. أنه يوزع الفاكهة بواسـطة السـائق.. على العمالة والسائقين في الحي..

ومحسـنٌ آخر.. أحـسَّ بأن قريبًا لـه في حاجـة.. ولكن ذلك المحتاج عزيز النفس.. لا يقبل صدقةً ولا إحساناً عليه..

فتحايل المحسنُ في تكليفه بعملٍ لا يحتاج إليه..

وطلب من قريبه أن ينفذه بمبلغ معين..

وما علِمَ أنَّ قريبَه أراد أن يُحسنَ إليه دون أن يمس كرامته!..

(١) أ. سلمان بن محمد العُمري: جبر الخواطر. (بتصرف)

الموز بريالين!

يروى أن رجلاً جاء إلى (بقالة) ليشتري فاكهة.. فسأل: كم سعر الموز؟

ردَّ البقال: ٨ ريالات..

ـ والتفاح؟

ـ ١٠ ريالات..

وفي تلك اللحظة.. دخلت امــرأةٌ إلى المحــل.. يعرفها البقالُ وتسكن في الحي.. فسألتْ: بكم الموز؟

قال البقال: بريالين.. والتفاح بريالين.!

فقالت: الحمد لله..

نظر الرجلُ إلى البقــال واحمرّتْ عيناه غضبًــا.. وكاد أنْ يوبّخ البقال!.

انتبه له البقالُ فغمزَ الرجلَ.. وقال: انتظرني قليلاً!.

أعطى البقالُ المرأةَ كيلو جراماً من الموز وآخر من التفاح بـأربع ريالات!..

وذهبت المرأةُ فرِحةً بهذا السعر.. وهي تردد: سوف يأكل عيالي اليوم تفاحاً وموزاً.. وسمعاها تحمد الله وتشكره.!

عندها قال البقال للرجل: والله أنا لا أغشــك.. ولكنَّ هذه المرأة

لها أربعة أيتام!.. وترفض أيَّ مساعدة من أحد.. وكلما أردتُ أن أساعدها رفضتْ..

فكرتُ كثيرًا كيف أساعدها.. ولم أجد إلا هذه الطريقة.. وهو خفضُ الأسعار لها..

وأنا أحب التجارة مع الله.. وأحب أن أجبر خاطرها!.

وأردف البقالُ يقول: هذه المرأة تأتي مرةً في كل أسبوع.. وفي اليوم الذي تشتري مني أربح أضعافًا مضاعفة.. وأُرزق من حيث لا أدري.

يقول الرجل: دمعتْ عيناي.. فقبَّلتُ رأس البقال..[1]

في مكتبة القرطاسيات

دخل أستاذ مع زوجته إلى مكتبة القرطاسيات ليشتري بعض المستلزمات المدرسية لأبنائه..

فرأى رجلًا ومعه بنيّاته الثلاث.. وهنّ يخترن ما يُردْن شراءه..

فيأخذه منهن ويذهب به **إلى المحاسب ليسأله عن سعره**.. ثم يعود إليهن ويقول لهنّ: هذا غالٍ.. ابحثْنَ عن غيره!..

تكرر الموقف مراراً.. فشعر الأستاذ وزوجته أن ذلك الرجل المسن فقير الحال..

---

(١) أ. سلمان بن محمد العُمري: جبر الخواطر (بتصرف)

لا يستطيع أن يلبي طلبات بنيّاته في ما تهوى أنفسهن من شرائه.. فيسأل عن الثمن أولًا.. ولأنه يجده غاليًا فإنه يردُّه إلى الرفوف.

ما كان من الأستاذ إلا أن تقدم نحو الرجل المسن.. سلّم عليه واصطنع معه حديثًا عابـرًا.. في حين أخذت زوجتُـه البناتَ إلى رفوف المكتبة.. ولبّت جميع متطلباتهن في دقائق.. ثم قام الرجل مباشرة بدفع الحســاب وقال في تواضع جمّ: هذا يا عم هدية من زوجتي للبنات!.

أمســك الرجل بيد بناته.. وخــرج من المكتبة وهــو ينظر إلى الأستاذ.. ولا يفتر لسانه بالقول «الله يجبر بخاطرك يا أستاذ»[١].

إنها كما يقــول الحبيب ﷺ: «صَنائِــعُ المَعروفِ تَقِــي مَصارعَ السُّــوءِ، وصَدَقةُ السِّــرِّ تُطْفِئُ غضَبَ الرَّبِّ، وصِلَةُ الرَّحِمِ تَزِيدُ في العُمُرِ»[٢].

تعالي نقتسم الصدقات!

يحكى أنَّ ســيدةً كانت تزور امرأة فقيرة لكنها متعففة.. وكانت تأبى أن تأخذ الصدقات..

لجأت الســيدةُ الغنيةُ للحيلة.. كي تعطي هذه المرأة ما تحتاجه من مواد تموينية..

---

(١) د. حسان شمسي باشا: عندما يشرق الصباح، دار القلم، دمشق.

(٢) صحيح الجامع: ٣٧٩٧.

فادّعت أنه يأتيها كلُّ شـــهر مواد تموينية كثيرة من أهل الخير.. ويفيض عن حاجتها..

فعرضتْ عليها قسمة ما يأتيها كل شهر بينهما.. كي لا تفسد هذه السلع!.

هكذا ادّعت الســـيدةُ الغنيةُ الفقرَ كي تســـتطيع مســـاعدة المرأة الفقيرة المتعففة..

وعندمـــا ســـألها ابنُها لِـــمَ فعلت هـــذا يا أمـــي؟ كان بإمكانك مساعدتها بدون وصمك بالفقر..

قالت له: جبر الخواطر على الله يا ولدي..

فاجتمع هنا جبرُ الخاطر مع الصدقــة.. ولذا قيل (جبر الخواطر صدقة)[1].

وفي شجاراتنا نفكر في أنفســـنا قبل غيرنا.. ولا نحاول أن نضع أنفسنا مكان الطرف الآخر.

نفكر دوماً بمنطق «لماذا أفعل أنا هذا.. ولا يفعله هو؟»..

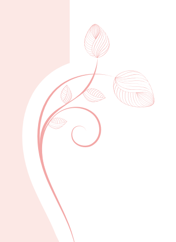
لماذا أبدأ أنا في الاعتذار.. ولا يبدأ هو؟

وكعادة البعض منا لا يعترف حتى أمام نفسه بأنه مخطئ..

مع أنه يمكن لكلمة طيبة صادقة أن تذيب جبالاً من ثلوج..

---

(١) أ. محمد المغربي: فن جبر الخواطر الثقافة المجهولة، المجلة العربية، ٢٠١٩/٠٣/٠١.



يقولون:

أرقـى المشاعـر الإنسانيــة الحـب..

وأجملها العطـاء بلا قيود..

وأعظمهـا جبر الخواطر..

فعِـش دائمـاً راقياً معطاءً جابراً الخواطـر..



قصصٌ من الواقع



ماتت أمي

يقول الأستاذ الشريف سعد بن زيد آل محمود: «ماتت أمي نورة بنت عبدالعزيز الشـــثري.. وقد ورثتْ من أبيها رَحِمَهُ ٱللَّهُ بيتًا في وســط الرياض.. ولا تمتلك غيره.. وكنت أذهبُ لآخذ الإيجار كل شهر..

كان المســتأجرون أحياناً يتأخرون بالدفع.. وفــي أحيانٍ أخرى يعطونني «شيكاً» على «جمعية البر»!..

أخبرتُ الوالدة بذلك فقالت: «**اذهب لكاتب العدل وأفرغْ البيت لهم!**»..

فعلتُ ذلك وهم في ذهولٍ.. وأسأل الله أنْ يعوضها خيرًا[١].

اجبر خاطره.. كما جبر بخاطري

يقول أحدهم: التقيتُها وهى تمشي بخطواتٍ متثاقلة.. وكأن على كاهلها جبالٌ من الهموم.. وتحمل تجاعيدُ وجهها آثارَ السنين..

---

(١) الشريف سعد بن زيد آل محمود: «ماتت أمي»

تقدّم بها العمر.. وطغى عليها جور الزمان.. فأصبحت تتســول الحياة الكريمة من أبنائها.. بعدما فرّقتهم الحياةُ..

وأصبح لكل واحد منهم ما يشغله.. من زوجة وولد..

تركوا تلك (العجوز) تستجدي مَنْ يتدخّل ليجلب عطف أولادها عليها..

بعدما (ترملت) عليهم صغاراً.. وكافحت في دوامات الحياة..

كي تقوم بتربيتهم على أكمل وجه..

قلت لها: لا تغضبي عليهم يا خالة.. واتركي الأمر لله ثم لي حتى أعالجه بشكل أو بآخر.. أريد منك فقط أن **تساعديني بدعائك لهم بالهداية..**

تجاذبتُ معها أطراف الحديث عن ذكرياتها في الماضي.. حتى أُنسيها بعض همومها.. فأحسستُ أنَّ غضبها من أبنائها قد بدأ يهدأ..

فقلت لها: لي طلب عندك يا خالة!..

قالت: ما تشاء يا ولدي..

قلت لها: أن تدعو لي..

قالت: (**اللهم اجبر خاطره.. كما جبر بخاطري**)[١].

---

(١) أ. صالح المسعودي: جبر الخواطر، اليوم السابع، ١٩ فبراير ٢٠١٨. (بتصرف)

وقفتُ لدقائق فى مكاني بعـــد انصراف (العجوز).. وكأن صدى صوتها في دعائها يتردد في أذني..

وكأني استمع لهذا الدعاء لأول مرة في حياتي!

شطب الديون

هناك عادة مباركة.. وســلوك إنساني وإســلامي رفيع في بعض البلدان.. حيث يقوم الموســرون بالدخول على صاحــب البقالة.. وإحصاء ما في دفتر الدين المسجّل عليه مستحقات الزبائن..

فيقوم بدفع وتســديد الديون كاملة.. وشــطب ما ســجّل على الدفتر..

حتى إذا جــاء الزبون ليدفع ويســدد ديونه.. يقــول له صاحب البقالة: إن فاعل خير قد سدّد عنك..

فتسمع دعوات الفقراء المســاكين.. وقد فرّج الله همهم.. وأزال عنهم ديْنهم..

يقول طرفة بن العبد:

لَعَمْــرُكَ! مــا الأيــامُ إلّا مُعارَةٌ   فما اسطعْتَ من معروفِها فتزوّدِ

أحب أن أشكر ثلاثة

يقول أحد الشــهيرين: ســألتني ذات مــرّة مذيعةٌ فــي برنامج تليفزيوني عن شخصيات أحب أن أشكرها لأنها أثّرت في حياتي..



ظننتْ أني سأتكلم عن أناس مشهورين..

فقلت لها: أحب أن أشكر ثلاثة:

سائق أوتوبيس رآني في الطريق.. أوقف الأوتوبيس.. ونزل يسلّم عليَّ..

عاملة نظافة في المطار.. لم تجد ما تعبر به عن إعجابها.. إلا أن تدعوني على زجاجة كوكا كولا!!..

سـائق تاكسـي قلتُ له: أنا ما عندي أولاد.. فقـال: نحن كلنا أولادك ...

فهؤلاء الثلاثة أثّروا فيَّ كثيراً.. ولسـتُ أنساهم.. وأشكرهم من كل قلبي!!

هذا الرجل ترك وصية بالتبـرع بجميع ثروته والبالغة حوالي ١٨ مليون جنيه..

لصالح مستشفى سرطان الأطفال..

لم يرزقه الله بأطفال ولكنه تسبب فى إسعاد آلاف الأطفال..

❋ ❋ ❋

ماكينة أم جميل



قصة حقيقية حدثت في سوريا.. حكاها صاحب «معمل خياطة» للدكتور محمد خير الشعال..

يقول صاحب القصة: كنتُ صاحب معمـل خياطة.. وكانت لي جارة مات زوجها وترك لها ثلاثة من الأيتام..

أتت يوماً إلى معملـي وقالت: يافلان!.. عنـدي ماكينة خياطة «حبكة».. وكان زوجي يشتغل عليها.. ونحن لانعرف كيف نشغّلها.. وأنا أريد أن أعيّش أيتامي.. فهل أحضرها لك.. وتسـتأجرها مني.. فأحصل على دخلٍ أعيش به أنا وأولادي اليتامى؟.

استحييتُ منها (والحياء لايأتي إلا بخير) وقلت لها: أحضريها..

فلما أتت بالماكينة.. فإذا بها موديلٌ قديم جداً.. وليس لها عندي أي عمل!..

ولكنني لم أشأ أنْ أكسـر خاطر هذه المرأة.. فسألتُها كم تريدين إيجـاراً للماكينة؟.. فقالت: ثلاثـة آلاف ليرة.. (وهـذه القصة قبل الحرب في سوريا بحوالي عشرين سنة).

أخذتُها وقلت لها: جزاك الله خيراً (جبر خاطر).. وأعطيتها ثلاثة آلاف ليرة.. وأخذتُ الماكينة..

وضعتُ الماكينــة في زاوية من زوايا الورشــة لأنه لا حاجة لي بها.. ولكني ما أردتُ أنْ أكسر خاطرها.

مرت عشــر ســنوات.. وأم جميل تأتي تأخذ إيجــار الماكينة.. والماكينة لا تقوم بأي شغل..

وبعد عشر سنوات.. انتقلت الورشةُ إلى معمل جديد على أطراف البلدة.. وعند نقل الأغراض قلت لهم: انقلوا «ماكينة أم جميل» معنا..

فقالت مديرة المعمل: أستاذ!.. مالنا شغلٌ في ماكينة أم جميل.. فلماذا ننقلها؟

قلت: انقلوها فقط.

وبعد عشر سنوات أخرى.. قامت الحرب في سورية.. وتم تدمير المنطقة التي يقع بها المعمل كلها إلا معملي!.

وبســبب الحرب.. انقطع الإتصال بأم جميــل.. فلا نعرف لها عنواناً.. وكلما اتصلنا على هاتفها وجدناه مغلقاً.

تركتْني مديرةُ المعمل وسافرت إلى أوروبا..

وبعد شــهرين إتصلت عليّ وأخبرتني أنهــا رأت رؤيا تريد أن تقصها عليّ.

قالت: رأيت في الرؤيا.. وسمعت هاتفاً يقول: قولي لهيثم «ببركة ماكينة أم جميل حمينا لك معملك»!.

يقول صاحب القصة للدكتور الشعال: لعلك تعجب يا دكتور أنه لم يخرب من معملي إبرة واحدة.. علماً بأن المنطقة التي بها المعمل ذهبتْ كلُّها!.

فلعل رعايتك لجار ضعيف.. أو إمرأة من جيرانك ضعيفة.. تحتاج من يخدمها وهي طاعنة في السن.. كون سبب سعادتك.. وسبب حمايتك.. أنت وأسرتك!!.

والرسول ﷺ يقول: «ما آمن بي من بات شبعان وجاره جائع إلى جنبه وهو يعلم به»[(١)].

ويقول عليه الصلاة والسلام: «يا أبا ذر، إذا طبختَ مرقةً فأكثِر ماءها (أي: إذا طبخت لحماً فأكثر ماءه)، وتعاهد جيرانك»[(٢)].

كم من «**أم جميل**».. تطوف حول من لايعرفون قدْر حاجتها؟..

وكم منْ بارك الله له بماكينة.. مثل ماكينة أم جميل؟

إنها الصدقات الخفية.. وجبر الخواطر.. وإغاثة الملهوف..

---

(١) صحيح الجامع: ٥٥٠٥.

(٢) رواه مسلم.

من يعرف الله يعرف طرق الخير.. والعاصي لايعرف إلا نفسه الهالكة...

لا تقولوا: «حظ».. بل قولوا: الله وحده يعلم ماذا صنع في الخفاء من معروف..

فما بالك بمساعدة أم أيتام؟..

يقول أحدهم: عندي «شاحن موبايل» جعلتُه صدقة في العمل.. لا أمنعه عن أحد.. وعلى مدى سبع سنوات.. خربت كل الشواحن التي اشتريتُها بعد سنة أو سنتين.. إلا ذلك الشاحن!..

❋ ❋ ❋

بائعة الخبز



قصة حقيقية حدثت في جمهورية السودان مع أحد المعلمين في منطقة تسمى «ريفي المناقل»..

كان هذا المعلّم يُدَرِّس مادة الرياضيات فى مدرســـة للبنات فى الصف الثالث الإبتدائي..

وفي كل يــوم.. كان يرى خـــارج الفصل جانب الشـــباك.. بنتاً مســـكينة جميلة تكســـوها البراءة.. وتبيع الخبز لأمها في الصباح.. بلغتْ سن المدرسة لكنها لم تدخلْها بسبب وضع أسرتها المادي.. فلديها أربعة أخوة صغار ووالدهم مُتوفى.. وهي تسهم مع أمها فى مصاريف معيشتهم ببيع الخبز.. لتساعد إخوتها كي يدخلوا المدرسة ويكملوا تعليمهم..

وذات يوم.. كان الأستاذ يشرح للطالبات درساً في الرياضيات.. و«بائعة الخبز» تتابعه من خارج الفصل عبر النافذة..

سأل الأستاذُ الطالبات ســؤالاً صعباً.. وخصص له جائزة.. فلم تجبْ أيُ طالبة عن ذلك السؤال!

تفاجـأ الجميع ببائعة الخبز تشـير بأصبعها من خارج الشـباك وتصرخ: أسـتاذ أسـتاذ.. فأذِنَ لها المدرّس بالإجابـة.. وأجابت.. وكانت إجابتها صحيحة!

ومنذ ذلك اليوم.. تكفّل الأسـتاذ برعايتها.. وبكل مايلزمها من مصروفات مدرسية على نفقته الخاصة من مُرتّبِه..

واتفق مع مدير المدرسة على أن يتم تسجيلها كطالبة بالمدرسة.. تشارك بالإختبارات دون دخول الفصل.. وأن يجعلها تبدأ من الصف الثالث كمستمعة..

واتفق مع جميع مدرسـي المواد الأخرى علـى أن تظل الفتاة تسـتمع من خلال النافذة إلى كل الحصص وهـي خارج الفصل.. فوافقوا على ذلك.. وأخبر الأستاذُ والدتها بهذه الترتيبات..

كانت المفاجـأة عندما ظهرت نتائج الاختبـارات.. فكانت هي الأولى على المدرسـة!.. وسـارت على هذا النهج برعاية الأستاذ وإشرافه اليومي عليها.. إلى أن أوصلها إلى المرحلة الثانوية..

وعندها اضطر الأسـتاذُ إلى مغادرة السـودان للعمل بالخارج.. وانقطع الاتصال بها.

كبُر أحدُ إخوتها وعمـل بعربة يبيع فيها المـاء.. وظل يصرف عليها..

وانقطعت صلتها بالأستاذ مدة خمسة عشر عاماً..

وبعد كل تلك السنوات عاد الأســتاذ إلى السودان.. وكان لديه زميل بكلية الطب في جامعة الخرطوم.. فطلب زميله منه أن يرافقه للجامعة..

مكث بعض الوقت في كافتريا الكلية.. فـإذا بفتاة تحدّق فيه.. وهو لا يعلم لماذا تحدق فيه بتأثر بالغ..

ســأل الأســتاذ صاحبه إن كان يعرف هذه الفتــاة.. فأجابه: نعم بالطبع إنها أستاذة في كلية الطب..

وفجأة وبدون مقدمات جرت الفتاة نحــوه وأخذت تقبل يديه.. وهي تبكي بحرقة.. بصوتٍ لفت أنظار كل من كان في الكافتيريا..

ظن الجميع أنه والدها.. أجهشت بالبكاء ونظرت إليه وقالت: ألا تذكرني يا أستاذي؟

أنا البنت التي كانت **حطام إنســانة**.. وأنتَ الــذي صنعت منها إنسانه ناجحة..

أنا البنت التي كنتَ السبب في دخولها المدرسة.. وصرفتَ عليها من حرّ مالك حتى وصلتُ إلى ما وصلتُ إليه..

كل ذلك بفضل الله.. ثم برعايتك واهتمامك.. وموقفك الإنساني الفريد.. **أنا ابنتك.**

(بائعة الخبز)

يقول الأستاذ: لأول مرة في حياتي أحسست أني معلمٌ وإنسان!»..[1]

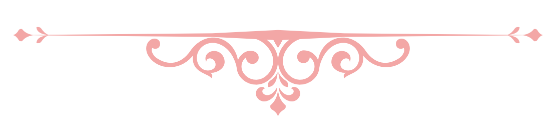
فتحية لكل معلم ومعلمة..

تحية لكل من علمني حرفاً.. وزرع في قلبي معنى الحياة والعطاء..



(١) أ. زيد عقاب الخطيب: قصة حقيقية.. قصة بائعة الخبز، الكويتية، ٢٠ يونيو ٢٠٢٠.

الرضا بقضائه..
(قصة من واقع الحياة)



تقول إحدى الأخوات: تخرجتُ من الجامعة والتحقتُ بعمل ممتاز..

بدأ الخطّابُ يتقدمون إليّ.. لكني لم أجد في أحدهم مايدفعني للارتباط به..

ثم جرفني العمل والإنشغال به عن كل شيء آخر.. حتى بلغتُ سن الرابعة والثلاثين.. وبدأتُ أعاني من تأخر سن الزواج..

وذات يوم.. تقدم لخطبتي شاب من العائلة.. وكان أكبر مني بعامين.. وكانت ظروفه المادية صعبة.. ولكني رضيت به على هذا الحال..

بدأنا نجهز لعقد القران.. فطلب مني صورة البطاقة الشـــخصية.. فأعطيتها له..

وبعد يومين.. اتصلـــت والدتُه بي وطلبت منـــي أن أقابلها في أسرع وقت!..

ذهبتُ إليها فإذا بها تخرج صورة بطاقتي الشخصية وتسألني: هل تاريخ ميلادي في البطاقه صحيح؟..

فقلت: نعم!..

قالت: إذن أنتِ قد إقتربتِ مــن الأربعين.. فقلتُ: أنا في الرابعة والثلاثين..

قالت: الأمر لا يختلــف!!.. فأنتِ قد تعديــتِ الثلاثين.. وقلّتْ فرص إنجابك.. وأنا أريد أن أرى أحفادي..

ولم تهدأ.. إلا وقد أنهت الخطبةَ بيني وبين إبنها..

مرت عليّ ستةُ أشهر عصيبة.. قررتُ بعدها أن أذهب إلى عمرة مع أبي لأغسل حزني وهمي في بيت الله الحرام..

جلست أبكي أمام الكعبة.. وأدعو الله أن يهيىء لي من أمري رشدا..

انتهيت من الصلاة.. فوجــدت إمرأةً تقرأ القــرآن.. وتردد الآية الكريمة ﴿وَكَانَ فَضْلُ ٱللَّهِ عَلَيْكَ عَظِيمًا﴾.. فوجدت دموعي تســيل رغماً عني بغزارة..

جذبتْني هذه الســيده إليها.. وأخذت تردد علــيّ قول الله تعالى ﴿وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ﴾..

شعرتُ وكأني أسمعها لأول مرة في حياتي..

هدأتْ نفسي.. وانتهت مراسم العمرة..

جلســتُ في الطائــرة على يســار أبــي.. وجلس علــى يمين أبي شابٌ..

نزلتُ من الطائرة لأجد زوج صديقتي فى صاله الإنتظار.. سألناه

عما جاء به.. فقال إنه في انتظار صديق عائد على نفس الطائرة التي جئت بها.

لم تمض لحظات إلا وجاء هذا الصديق.. فإذا به جارنا في مقعد الطائرة.. ثم غادرتُ المكان بصحبة والدي..

وما أن وصلتُ البيت حتى وجـــدتُ صديقتي تتصل بي وتقول: إن صديق زوجها معجبٌ بي بشدة.. ويرغب في أن يراني في نفس الليلة..

خفق قلبي لهذه المفاجأة.. استشرتُ أبي فوافق على هذه الزيارة..

ولم يمض شـــهرٌ على هذا اللقاء حتى كنا قـــد تزوجنا.. وقلبي يخفق بالأمل في السعادة..

بدأت حياتي الزوجية متفائلة وســـعيدة.. وجدتُ في زوجي كل ماتمنيتُه لنفسي في الرجل الذي أسكن إليه.. من حب وحنان.. وكرم وبرٍ بأهله وأهلي..

غير أن الشهور مضتْ.. ولم تظهر عليَّ أية علامات للحمل!..

شعرتُ بالقلق.. خاصة وأني قد بلغتُ السادسة والثلاثين!..

طلبتُ مـــن زوجي أنْ أجـــري بعض الفحـــوص.. خوفاً من ألا أستطيع الإنجاب..

ذهبنا إلـــى طبيبة كبيرة في أمراض النســـاء.. وطلبت مني إجراء بعض التحاليل..

جاء موعد معرفة نتيجــة أول تحليل.. ففوجئــتُ بها تقول لي: لا داعي لإجراء بقية التحاليل لأنه مبروك يا مدام.. «أنتِ حامل»!

مضت بقية شهور الحمل بسلام.. وإن كنتُ قد عانيتُ معاناة زائدة..

حرصتُ خلال الحمل علــى ألا أعرف نــوع الجنين.. لأن كل مايأتيني به ربي خيرٌ وفضلٌ منه..

وكلما شــكوتُ لطبيبتي من إحساسي بكبر حجم بطني.. فسّرتْه لي بأن سببه تأخري في الحمل إلى سن السادسة والثلاثين!.

جاءت اللحظة السحرية المنتظرة وتمت الولادة..

وبعد أن أفقتُ.. دخلت عليّ الطبيبة وســألتني مبتسمة عن نوع المولود الذي تمنيتُه لنفســي.. فأجبتها بأنــي تمنيت من الله مولوداً فقط ولا يهمني جنسه..

فوجئتُ بها تقول لي: إذن مارأيك في أن يكون لديك ثلاثة أطفال!

لم أستوعب ماقالت.. فقلتُ: كيف؟

قالت: لقد منَّ الله عليك بثلاثة توائم.. وكأنه سبحانه أراد لك أن تنجبي خلفة العمر كلها دفعة واحدة.. رحمة منه بك..

كانت تعلم منذ فتــرة بأني حامل بتــوأم.. إلا أنهــا لم تبلغني بذلك.. كي لا تتوتر أعصابي خلال أشهر الحمل..

عندها بكيتُ وقلت: ﴿ وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَىٰٓ ﴾ [الضحى ٥][1]..

(١) أ. وليد القدوة: قصة فتاة تأخرت في الزواج، قاعة: علم النفس الاسري والزواجي.

تسعة قروش

روى الشيخ علي الطنطاوي رَحِمَهُ اللَّهُ هذه القصة التي عايشها:

«من أســبوعين ابتليتُ من أولادي ببليّة.. هي أني كلما دخلتُ الدار تعلّقوا بي طالبين تمثال «**العبد الأسود ذي الطربوش الأحمر**»..

وأنا لا أدري ما هذا التمثال.. ولا أعرف من أين آتيهم به.. وهم يلحُّون لا يشغلهم عنه شيء..

وكنت مرة خارجاً إلى عملي مســتعجلاً.. فوجدت بائعاً يحمل هذه التماثيل.. ينادي «الواحد بقــرش».. ففرحت به فرح الضالّ في البادية يرى معالم الطريق.. واشتريت تمثالين وحملتُهما معتزّاً بهما كأني أحمل كنزاً..

عدتُ بهما حتى إذا دنوت من الــدار.. وجدتُ ولدين صغيرين قاعدين فــي ظل جــدار.. فلما أبصــرا التمثالين برقــت عيناهما.. وارتفعت يداهما في إشــارة خفية متهيبة.. وقاما فتبعاني وعيونهما معلقة بالتماثيل..

فلما رأيت ذلك منهما فكرتُ أن أدفعهما إليهما.. ولكني خشيتُ أن أرجع فــلا أرى البائع.. وتخيَّلتُ رغبــة أولادي فيها.. فلم تطب نفسي أن أحرمهم هذه المتعة.. ولم أســتطع الإعراض عن الولدين الفقيرين.. فدعوتُهما فدفعت إليهما قرشــين.. وقلــت لهما: هو ذا البائع.. فألْحقاه فاشتريا مثلهما.. الواحد بقرش!

أخذا القرشين.. وما حفلا بهما.. ولبثا شاخصيْن في التمثالين..

حاولتُ نسيانهما وسـرتُ.. فتبعاني وكنت أحس بحرّ نظراتهما على ظهري.. فأهُمُّ أن أعطيهما التمثاليـن.. ثم تدركني محبةُ الولد فأكفّ.. حتى وصلتُ الدار وصورتهما أمام عيني.. تمنع عنهما رؤية فرحة أولادي باللعب وتواثبهم إليها.

ولمّا خرجتُ وجدتُ الولدين لا يزالان في الطريق.. يفتشان عن البائع.. يعدوان هنا وهناك.. فدعوتُهما فمشـيا معي.. فما درتُ مع الطريق دورة حتـى لقيت البائع أمامي.. فاشـتريتُ لهمـا تمثالين وتركت لهما القرشين..

ووجدتُ حـول البائـع أولاداً مثلهما فقلت له: أعـط كل ولد تمثالاً.. وكانوا تسعة فدفعتُ إليه تسعة قروش.

هل تصدقون أو أحلف لكـم؟! أني لما نظـرتُ في وجوه الأولاد وقد بدا فيها بهاء الفرح.. وما عرفتْ هذه الوجوه الفرح قطّ.. ولما رأيت عيونَ الأمهات الواقفات تدمع.. وألسنة الرجال الواقفين تدعو.. أحسستُ في قلبي بفرحة لا تعدلها فرحة الجائع بالمائدة الملوكية المترعة.. ولا المُحِب بلقاء الحبيب بعد طول الهجران.

لا والله.. فتلك أفراح أرضية.. وهذه فرحة سـماوية.. قد تعيش آلاف البشر وتموت.. ولا تحس مثلها.

إننا ننفق كثيراً من المال.. نشـــتري به يســـير المتع.. وهذه متعة ما يكاد يجد الإنسان مثلها.. نلتُها بتسعة قروش.. وما تسعة قروش بالنسبة لي؟

إنها شيء كالعدم.. شيء لا يغنيني وجوده.. ولا يفقرني فقده..

فهل تحبُّون أن تشتروا مثل هذه المتعة؟..

هل تحبُّون أن تعرفوا ما هي لذة الروح؟.. وما هي راحة القلب؟

هل تريدون أن تذوقوا نعيم الجنة وأنتم في الدنيا؟

فإن أردتم ذلك.. ففتشـــوا حولكم عن هذه الطفولة المحرومة.. وهذه النفوس المعذَّبة ومن ثَمَّ أَوْلوُها الإحسان.

وليســـت قيمة الإحســـان بكثرة المال.. إن المال ينفع الفقير.. ولكنه لا ينزع من قلبه النقمة على الحياة.. ولا يملؤها بالحب..

إن الذي يفعل هذا كله هو العطف.. وأن تُشْعر الفقيرَ بأنه مثلك.. وأن تعيد إليه كرامته وعزة نفسه.

ورُبَّ تحية صادقة تلقيها على سائلٍ أحب إليه من درهم.. ودرهم تعطيه فقيراً وأنت تصافحـــه.. يكون آثرُ عنده من دينـــار تدفعه إليه متكبراً مترفعاً.. يدُك تمتد إليـــه.. ووجهُك يُجْرعه كأس الإذلال. إنَّ كلَّ غني يســـتطيع أن يتصدق بالكثير.. ولكن غني القلب هو الذي يستطيع أن يتصدق مع المال **بالعاطفة المنعشة..**

فلا تضنُّوا على الفقراء بإنسـانيتكم.. **وذكّروهم أنهم لا يزالون معدودين من البشر..** وأنهم مثلكم لآدم وحواء.. وأنهم لم ينحدروا إلى دركة الدواب والبهائم.

ذكّروهم بهذه الحقيقة التي طالما نسـيتموها أنتم.. ونسوها هم أنفسهم.. ولِمَ لا ينسونها وهم يعيشـون كما تعيش البهائم.. ينامون مثلها علـى الأقـذار.. في الأكـواخ والحقـول.. وفـي الخرائب المهجورة.. ويأكلون مثلها من فضلات الناس..

ولم ينالوا تعليماً يرفعهم عنها.. يسـكنون في الأكواخ في زمان ناطحات السحاب..

فتداركوهم قبل أن يكفروا بالإنسان.. فينقلبوا حرباً عليه.. حرباً ليس معها أمان.. أشـعروهم أنـه لا يزال في الدنيـا فضلٌ وعدلٌ ونبل..

لماذا أشتري لبناتي كل أسـبوع لعبة.. ولم يخطر على بالي أبداً أن في البلد أطفالاً لا يجدون لُعَباً؟ نحسـب أننـا إذا أطعمنا أطفال الفقراء الخبز.. فقد أدينا حق الله علينا.. ولكن الطفل لا يكفيه الخبز ولا يرضيه.. وهو يرى أطفال الناس يمرون به وعليهم أبهى الثياب.. ومعهم أغلى اللعب.. إنه بين أمرين: إما أن يتبلد حسه.. فلا يأمل أن يكون مثلهم أبداً.. فينشـأ ضعيف الهمة ذليلاً.. فيكون من أسـباب ضعف هذه الأمة.. وإما أن يمتلئ قلبه الصغير حقداً.. ثم يكبر ويكبر الحقد معه حتى يكون عدواً للمجتمع ونقمة على الناس.. يظلمهم

كما ظلموه.. يسرق من يستطيع سرقة ماله.. ويزهق روح من يتمكن من إزهاق روحه.. وينشر الفساد في الأرض...

فلماذا نجعل مــن هؤلاء الأطفــال أعداء لنا؟ لمــاذا لا نحبهم فنعلمهم الحب.

وما يدريني أن ابنتي أو ابنة أحدكم لا ســمح الله.. ستلقى مثل هذا المصير؟ من منا أخذ على الدهر عهداً أن لا يزيل عنه نعمة؟

لقد بلغ الخزي أنْ وُجــد فينا أناسٌ يُطعمــون الكلاب المدللة اللحمَ السمين..

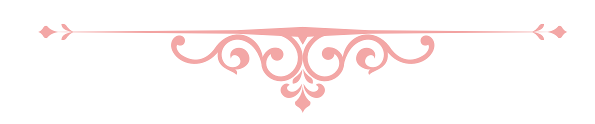
والشــوكولاتة الغالية.. وحولهم بشــرٌ لا يأكلون اللحم مرة في الشهر!..

إذا شئتم أن تذوقوا أجمل لذائذ الدنيا.. وأحلى أفراح القلوب.. فجودوا بالحب وبالعواطف كما تجودون بالمال[١].



(١) من كتاب «صور وخواطر» للشيخ علي الطنطاوي. (باختصار)

كيف تُجبر الخواطر؟



الحياة مليئة بما يجبر خواطر الآخرين.. والله يريدك أن تسـعد.. أن تحيا حياة طيبة.. «مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَـرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً».

دعوات الوالدة حين تبرها دفءٌ في زمهرير الحياة..

وزيارة أخ في الله.. طمانينةٌ في لهيب الدنيا..

وسـؤالك لجارك أو قريبك عـن أحوالهم يُشـعرهم أن الدنيا مازالت بخير..

وتقدير الكبير جبر خاطر.. وصلة الرحم جبر خاطر..

وإكرام الضيف جبر خاطر.. وقبول العذر جبر خاطر..

والعفو عن الهفوات والزلات جبر خاطر..

وعدم رد المحتاج جبر خاطر.. والتعامل بتواضع ولين جبر خاطر..

وبث الألفة بين الناس جبر خاطر..[١]

---

(١) أ. صالح المسعودي: جبر الخواطر، اليوم السابع. (بتصرف)

وما أشـــد حاجة الكثيرين في هذه الأيام إلى مواســاة وتطييب خاطر..

فأصحاب القلوب المنكسرة كثير.. فالفقر والحروب سادت في بعض البلدان..

فهذا يتيم وتلك أرملة.. وهذا مسكينٌ.. وآخر غارقٌ في الديون..

وهذه مُعلَّقة لا هي زوجةٌ.. ولا هي مُطلَّقة..

وآخرون أصابهم من الهموم والغموم ما تنوء بحمْله الجبال..

فشــابٌ لا يجد جامعةً.. وآخــر لا يعثر على وظيفــة.. وأخرى لا تجد زوجاً..

وذاك مريضٌ.. وآخرُ مُبْتلًى.. وما أكثر الهموم حين تعدّها!!.

فكم من قابــع فى ظلام همومــه وإحباطه.. تنيــر دربه كلماتُ تشجيع بسيطة..

وكم من مرتجف وسط زوابع الحياة.. تشــرق شمس آماله مع ابتسامة عطف دافئة «هيّا.. فنحن هنا من أجلك».

جبر الخواطر المنكســرة.. وتضميد جراح القلــوب المنهكة.. صفات لا يتحلى بها سوى أصحاب القلوب النقية والفطرة السليمة..

جبر الخواطر يحتاج لكرماء تواضعت أنفسهم لله.. غير منتظرين لمدح ولا إطراء.. جعلوا ما يقومون به خالصاً لوجهه تعالى.. راجين

أن يثيبهم من فضله.. وأن يجعلهم فى زمــرة عباده الذين اختصهم بقضاء حوائج الناس.. عند ملك الملوك.

اجعل من تعاملاتك اليومية نوراً يتسلل إلى القلوب فيضيئُها..

ونسمة حانية تترقرق في الأرواح فتدفئُها..

ولا تستهن بذلك..

وإذا لم يكن عندك مال تعين به على نوائب الأيام.. فكلمةٌ طيبة.. يقول المتنبي:

لا خَيْلَ عنــدك تُهديهَا ولا مالُ فليُسْــعِدِ النُطقُ إن لم تُسعِدِ الحالُ

و«جبر الخواطر» كلمة واسعة.. تشمل صوراً عديدة..

تدخل فيها البشاشة والتهنئة.. والمصافحة والمعانقة..

والمشاركة في فرح وسرور.. أو ترح وأحزان..

يقول الحبيــب ﷺ : «إنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَــةِ مِن رِضْوانِ اللهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَرْفَعُهُ اللهُ بها دَرَجــاتٍ، وإنَّ العَبْدَ لَيَتَكَلَّمُ بالكَلِمَةِ مِن سَخَطِ اللهِ، لا يُلْقِي لها بالًا، يَهْوِي بها في جَهَنَّمَ»[١].

كذلك الأمر في تطييــب الخواطر.. فقد تكــون الكلمة صغيرة خفيفة.. غير أنّها تُسعد قلباً.. وتُفرح محزوناً..

---

(١) رواه البخاري.

بل ربما يكفي البعض ابتسامة صادقة.. أو مصافحة وديّة (في غير زمن كورونا!).. أو اعتذار عن خطأ.. أو دعاء خالص من القلب.

فليكنْ لأهلِكَ من جبرِ القلوب أوفر الحظِّ والنصيبِ.. وخاصة أمك وأبيك.. زوجك وأبناءك.. إخوتك وأخواتك..

فاجبروا الخواطر.. وشاركوا الأحباب في المشاعر.. وتذكروا أنَّها عبادة جليلة.. يجازي عليها الجبار بأجور عظيمة[1].

١ ـ مدَّ يد العون والمساعدة لإنسان في موقف صعب أو مشكلة..

٢ ـ قدّمْ لوالديك ما يحتاجان.. وفاجئهما بما يَفقدان.. دون طلبٍ منهما أو سؤالٍ.. ففي إدخال الفرح والسرور على قلوبهما أجمل ما يُسطَّر من جبر الخواطر..

وهم بحاجةٍ إلى مَزيدٍ مِنَ الرِّفقِ في الكِبَر.. ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا﴾ [الإسراء: ٢٣].

وحَذّر الله تعالى مِن إيذائِهما بأقلِّ قَليلٍ مِنَ الأذى: ﴿فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا﴾ [الإسراء: ٢٣].

(١) د. ماهر بن حمد المعيقلي: جبر الخواطر، خطبة الجمعة، ١١ ربيع الأول ١٤٤١.

٣ ـ تلطف مع زوجتك.. وامدحها بكلمات رقيقة.. تمنحها الثقة بنفسها.. أو اعطها لفتة كريمة تشعرها بأهميتها.. وإن قصّرتْ يوماً لإنشغالها وكثرة أعبائها.. فكن لها سنداً ومعيناً. **وفاجئ زوجتك.. أو فاجئي زوجك بما يحبه..**

٤ ـ تلطفي مع زوجك.. وقدّري تعبه في تحصيل لقمة العيش.. فكم من زوجة لا تُقَدِّر المشقة التي يجدها فى عمله طوال اليوم.. ليوفر لأسرته حياة طيبة كريمة.. وربما كان غير قادر ـ رغم كل عمله ـ على أن يوفر لأسرته كل متطلبات الحياة.. فالمعيشة في كثير من البلدان غالية.. والدخل محدود.. وهنا تبرز أهمية تفاهم الزوجين على تقاسم هموم الحياة..

٥ ـ اجبر خاطر اليتامى.. وهم كثيرٌ في بعض البلدان.. وتولَّ شيئاً من شأنهم.. بل مجرد المسح على رأس اليتيم.. يخفف ألم اليتم عنه.. فهو يتمنى لو عاش حياةَ أطفالك.. وارتدى ملابسهم.. وذهب مثلهم إلى المدرسة.. والرسول ﷺ يقول: «أنا وكافِلُ اليَتِيمِ في الجَنَّةِ هَكَذا وقالَ بإصْبَعَيْهِ السَّبَّابَةِ والوُسْطَى»[1].

٦ ـ زر مريضاً وادعُ لـه.. تبعث فيه الأمل.. وتهوّن عليه رحلة العلاج. **قل للمريضِ:** شفاكَ اللهُ وأعانَك، وكتبَ لكَ الأجرَ وأثابك.. وأبشرْ.. فقد وعدَ اللهُ تعالى الصَّابرينَ أجراً بغيرِ حسابٍ..

---

(١) رواه البخاري.

٧ ـ عندما تجد صديقك لديه الكثير من العمل.. **ولن يستطيع أن ينهيه وحده.. فاجلس** معه وساعده.. فهذا نوع من جبر الخواطر.

٨ ـ عندما تجد **طفلاً فقيراً في الشارع اهدهِ قطعة من الحلوى** أو الشوكلاته..

٩ ـ عندما تجد **شخصاً يائساً يشعر بالفشل وتشجعه** وتقول له أنه يستطيع أن ينتصر.. فقد جبرتَ بخاطره.

١٠ ـ لا تنس **صاحب الحاجة والمسكين** الذي انكسر قلبُه وذلَّت نفسُه.. فما أجمل أن نجعل له من مالنا نصيبًا.. ومن طعامنا ولو قليلاً.. ومن دعائنا ما نستطيع! بذلك نجبُر كسرهم.. ونُطيِّب قلوبهم.. ولا نُشعِرهم بالنقص..

قال أحمد بن عبدالحميد الحارثي: «ما رأيتُ أحسن خلقًا من الحسين اللؤلؤي، كان يكسو مماليكه كما يكسو نفسه»[(١)]؛

١١ ـ إذا اعتذر **المخطئ** بحقِّك.. وخصوصًا عندما تعلم أن خطأه غير مقصود.. وأن تاريخ صُحْبتك معه طيب نقيٌّ.. فاصفح عنه وسامحْه..

١٢ ـ ادعُ لأخيك بالتسديد والتوفيق.. هنئه بخير رُزق به.. أو واسهِ في محنة حلت به.. فكلها أمور تجبر الخاطر.

(١) سير أعلام النبلاء (١٠/٥٤٤).

١٣ ـ ما أجمل أن تُبارك لمن **رُزق بفلـــذة كبدٍ** طال انتظاره لها.. وتزرع مزيداً من الفرح عند شابٍّ يُزفّ إلى عروسه..

١٤ ـ إذا رأيتَ **بائعاً متجوّلاً** في حَرِّ الشمس.. يضطّر للسير على قدميه باحثًا عن رزقه.. فاجبر خاطره! واشتر من البائع العجوز بلين وابتسامة..

بدلاً من عبوسٍ في الوجه وتقطيب في الجبين.. فهو جبر خاطر.

وعندما تشتري من فقير يبيع بضاعة زهيدة.. فأعطهِ أكثر من حقه في السلعة التي يبيعها ولا تبخسه ثمنها..

١٥ ـ وأي سعادة تلك التى سيشــعر بها **عامل جمع القمامة**.. إن ابتسمتَ في وجهه عند لقائه.. وحييته بتحية الصباح.. فتترك بصمات عميقة داخله.. تخفف من قسوة الحياة..

١٦ ـ وعندما يأتيك «**عامل الشاي**» في المكتب.. ليضع أمامك فنجاناً من القهوة أو الشاي.. فتبسم في وجهه.. فذلك صدقة وجبر خاطر..

١٧ ـ **تبادل الهدايا** مع الأقارب والأصدقاء.. فهي بِســاط الودِّ.. وطريق الأُلْفة.. لقوله ﷺ: «تَهادَوا تحابُّوا»(١).

١٨ ـ ومــن أجلّ مظاهــر جبــر الخواطر ما كان فــي حق ذوي الأرحام.. فالأقربون أولى بالمعروف.. قــال البلباني: «ومراعاة جبر قلوب ذوي الأرحام والتلطف بهــم.. وتقديمهم فِي إجابة دعوتهم..

---

(١) رواه البخاري.

والتواضع معهم فِي غناه وفقرهم.. وقوته وضعفهم.. ومداومة مودتهم.. ونصحهم فِي كل شؤونهم.. والبداءة بهم فِي الدعوة والضيافة قبل غيرهم.. وإيثارهم فِي الإحسان والصدقة والهدية على من سواهم.. لأن الصدقة عليهم **صدقة وصلة**[(١)].

١٩ ـ تخيروا الكلمات وخصوصاً مع المرضى وأصحاب الهمم.. فكلمة مثل «معاق» لن تؤثر في نفسيته وتشعره بالنقص فحسب.. بل تهدم جدران الأمل في غده ومستقبل الأيام!..

٢٠ ـ وهناك عادات اجتماعية كثيرة.. لو استحضر المسلم فيها نية طيبة لنال الأجر الجزيل من الله.. ولا سيما لو عدّد نوايا الخير[(٢)]..

فقد كان النبي ﷺ يواسي بالقليل والكثير..

يقول عليه الصلاة والسلام: «مَن أقالَ[(٣)] مسلمًا، أقالَ اللهُ عَثرتَهُ»[(٤)].

وقال النَّبيُّ في حَديثٍ آخَرَ «مَنْ كان في حاجَةِ أخيهِ كان اللهُ في حاجَتِهِ، ومَنْ فَرَّجَ عنْ مُسْلِمٍ كُرْبَةً فَرَّجَ اللهُ عنه بها كُرْبَةً من كُرَبِ يوْمِ القيامَةِ»..[(٥)].

---

(١) موارد الظمآن لدروس الزمان، ٤٥٣/٣.

(٢) د. عبد الله رمضان: جبر الخواطر.. من القيم المجتمعية المهجورة.

(٣) والإقالَةُ في الشَّرْعِ: رَفْعُ العَقْدِ الواقِعِ بين المتعاقدَيْنِ، وهي مَشْروعةٌ إجماعًا، وصُورةُ إقالَةِ البَيْعِ إذا اشْتَرى أحَدٌ شَيئًا مِن رَجُلٍ ثم نَدِمَ على اشْتِرائِهِ، إما لظُهورِ الغَبْنِ فيه أو لزَوالِ حاجَتِهِ إليه، فَرَدَّ المبيعَ على البائِعِ، وقَبِلَ البائِعُ رَدَّهُ. (الدرر السنية).

(٤) أخرجه أبو داود وابن ماجة، حديث صحيح.

(٥) صحيح الترمذي: ١٤٢٦.

يقول الإمـام الشـافعي:

النَّاسُ بالنَّاسِ مــا دامَ الحياءُ بهمْ ... والسعدُ لا شكَّ تاراتٌ وهبَّاتُ

وأفضَلُ الناسِ مــا بين الوَرَى رَجُلٌ ... تُقْضَى على يَدِهِ للنَّاسِ حَاجَاتُ

لا تَمنعَنَّ يدَ المعروفِ عن أَحَدٍ ... ما دُمْتَ مُقْتَدِرًا فالسَّــعْدُ تاراتُ

واشْــكُرْ فَضَائِلَ صُنعِ اللهِ إذْ جَعَلَتْ ... إليكَ، لا لكَ، عِنْــدَ النَّاسِ حاجَاتُ

قد ماتَ قومٌ ومَــا مَاتَتْ مكارِمُهم ... وعَاشَ قومٌ وهُم فِــي النَّاسِ أمْواتُ

فاحمد الله أن هيّأ لك منْ تقضي حاجته.. فأكرمَك بذاك الصنيع..

فقد كان ســفيان الثوري ينشــرحُ إذا رأى محتاجــاً في طريقه.. ويقول: «مرحباً بمن جاء يغسل ذنوبي»!

***

همسات سريعة في جبر الخواطر

جبر الخواطر صفة إنســانية وخلق ديني عظيم.. تعبر عن سلامة نفسٍ.. ونقاء روح.. مَنْ حملها في قلبه.. لا يصدر عنه فعلٌ ولا كلمةٌ تُوقعُ حزناً في قلوب الآخرين!..

عملٌ بسيط.. لكن أثرَه في النفوس عميقٌ مُبين..

فابتسامةٌ صغيرة.. كفيلة بإدخال السرور على قلب حزين..

وكلمةٌ طيبة.. كافية لإسعاد جروح العاجزين..

جبر الخواطر تخفيفٌ لحزن البائسين.. وطمأنةٌ لقلوب الخائفين..

تعاملٌ مع الناس برفق ولين..

لا تقول ولا تفعل إلا ما يرضي رب العالمين..

هو كلمةٌ طيبة تشجّع بها القانطين اليائسين..

ونصيحةٌ تقدّمها للحائرين..

هو غوثٌ وعونٌ للمكروبين..

وسقيةُ ماء للعطشى اللاهثين..



فاجعله حاضرًا في قلبك في كل وقت وحين..

واشمل به كل تعامل ٍ.. وعلاقةٍ بالآخرين..

أخلص في نيتك لله.. ولا تستخفن بأي شـــيء من جبر الخواطر مهما قلَّ.. كلمة أو إشارة.. فلعل القليل منك أن يكون عند الله كثيراً..

لا تتنازل في جبر الخواطر عن شيء من ثوابت دينك.. وإياك أن ترتكب محرّماً.. من أجل تطييب خاطر!..

انتقوا كلماتكم.. وتلطفوا بأفعالكـــم.. ولا تؤلموا أحداً.. وقولوا للناس حسناً..

اصنع المعروف دون انتظار مقابل.. فيومًا ما ســيُرَدُّ الأمر إليك بطريقة أو بأخرى.

وأصغر الأفعال النابعة مــن القلب.. يمكنها تــرك أثر بالغ في قلوب الآخرين.

قول لطيــف تجبر به من أمامك.. كافٍ لإســعاده بقيــة اليوم.. فلا تبخل به..

ومن يجبر بخاطر الناس يجبر الله خاطره في دنياه وآخرته..

ولعل الخاطر الذي تجبره يحبه الله.. فيحبك الله..

ولعل الشخص الذي تجبر بخاطره اليوم.. هو نفسه الذي سوف يجبر بخاطرك.. أو خاطر من تحبهم غداً.

كل ما علينـــا فعله أن نغيث النـــاس.. لأننا نعلـــم أنَّ من أغاث أحداً.. يغيثه الله عز وجل في أشد أوقاته خطراً.

وإذا كان المال يفك كروب المحتاجين.. فالابتســـامة تؤلف بين القلوب وتزيل الهموم.

أجبُر خاطر الآخريـــن ولو كنت مهموماً.. فســـوف يفرج الله عز وجل همك لأنك فرجت هم غيرك.

جبْرُ خاطر غيرك سينقّي قلبك أنت..

إن لجأ أحدٌ إليك فأعنْهُ.. ولا تستفرد به..

لا تستغلَّ ضعفه أو حاجته إليك فتؤنبه.. أو تتخلَّ عنه..

لا تردَّ راجيك.. ولا تخيّب (أملَ) الناس فيك..

طالما أن هذا الرجاء ليس فيه مخالفة لأوامر الله ونواهيه.

قال بعض الحكماء: «القَ صاحب الحاجة بالبشر..

فإن عدمتَ شكرهَ لم تُعدَمْ عذره».

فإن أتاك شخص محبطٌ أو حزينٌ.. فطيّبْ خاطره..

لا تشعره بندمٍ لأنه أظهر ضعفه أمامك..

فأكثر ما يكسر خاطرنا هو البكاء أمام من لا يقدّر دموعنا!.

اصنع المعروف مع كل محتاج.. وإن لم يكونوا أهلاً له.. فأنت له أهلٌ..



فإلى كل من جبر خاطراً سلام..

وسلاماً على القلوب الطيبة.. التي أينما مرّت أزهرت.

وطنوا أنفسكم على هذه العبادة.. فالأيام دُول..

هِيَ الأمُورُ كَمَا شَاهَدْتُهَا دُوَلٌ ‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏‏ مَنْ سَرَّهُ زَمَنٌ سَاءتْهُ أزْمَانُ

فإذا كنت في قوة.. فلا تتخلى عن الضعفاء..

وإن كنت موسراً.. فلا تمنع عطاءك عن معسر ولا ذي حاجة..

وأنت لا تدري ما قد تفعله كلمةٌ طيبة تخرج منك..

فتصادف نفساً قلقة.. أو قلباً مُتعباً.. فتريحه وتُدخل عليه السرور..

قدّم لنفسك ما قد تحتاجه يوماً ما..

والحياة لا تعدل شيئاً مقابل فرحة زوجتك وأبنائك أو أقربائك.. عندما تقوم بجبر خاطرهم..

فمنذ الساعات الأولى من الصباح.. ففرص الحصول على جائزة السماء متاحة للجميع..

احرصوا على جبر الخواطر.. فهو يحفز الإنسان نحو النجاح.. فهذا أديسون الذي أصبح عالماً بعدما كان معلموه ينادونه «بالطفل الغبي»..

جبرت والدته بخاطره.. بكلمات بسيطة.. فحفزته نحو النجاح..

فجبر الخواطر يجعل القلب يشرق من جديد على بستان الحياة..

فلنتعلـم كيف نصنع من ظلام الليل شـعلة نضيـئ بها الطريق للآخرين..

وكيف نجني لجراح القلب بلسماً شافياً وعسلاً شافياً..

وكيف يغدو قلبنا للمنكسرين أزهاراً ووروداً..

فلنجبر الخواطر.. ونراعي المشاعر..

ننتقي الكلمات.. ونتلطف بالأفعال والحركات..

ولا نلم أحداً.. ونقول للناس حسنا..

لنعيش أنقياء أصفياء.. فهذا نهج الأنبياء[(١)].

فإن عودتَ نفسـك على جبر خواطر النـاس.. فتأكد أن الله لن يخذلك.. ولسـوف يجبر خاطرك في وقت تحتـاج كرمه ووصله.. وتجاوزه عن كل زلاتك وهفواتك.. يوم لا ينفع فيه مال ولا بنون إلا من أتى الله بقلبٍ سليم..

وختاماً...

مرت إمرأة بجانب طفل حزين مكسـور الخاطـر.. وبيده عودٌ يرسم به على الأرض.

---

(١) د. علا الإسلام: جبر الخواطر عبادة إيمانية (بتصرف)، أ. رولا خرسا: جبر الخواطر (بتصرف)، موقع محتويات: جبر الخواطر. (بتصرف)



فانفطر قلبُها شفقةً عليه وسألتْه: ماذا تفعل هنا يا صغيري؟.

قال: أرسمُ الجنةَ وأقسمها إلى أجزاء!!.

فابتسمتْ وقالت له: هل يمكن أن آخذ قطعة منها.. وكم ثمنها؟.

نظر إليها وقال: نعم.. أحتاج فقط عشرين درهماً..

أعطتْه المرأةُ عشرين درهماً وبعض الحلوى.. وذهبتْ.

وفي ليلتها رأت في الرؤيا أنها في الجنة.. فقصّت رؤياها على زوجها في الصباح.. وما جرى مع الطفل الصغير..

ذهب الزوج إلى الطفل ليشتري قطعة منه!.. وقال له: أريد أن أشتري قطعة من الجنة فكم ثمنها؟

قال الطفل: لا أبيع!..

قال الرجل: بالأمس بعتَ قطعةً لزوجتي بعشرين درهماً!..

قال الطفل: إنَّ زوجتك لم تكن تطلب الجنة بالعشرين درهماً.. بل كانت تجبر بخاطري..

أما أنت.. فتطلب الجنةَ فحسب.. **والجنةُ ليس لها ثمن محدد.. لأن دخولها يمر من «جبر الخواطر»!..**

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين..

❋ ❋ ❋

الفهرس



